1007
Harlequin
سلسلة قصص
روايات
كبير
١٠٠٧
دار النحاس

الأستاذ الهادىء

بتي نيلز

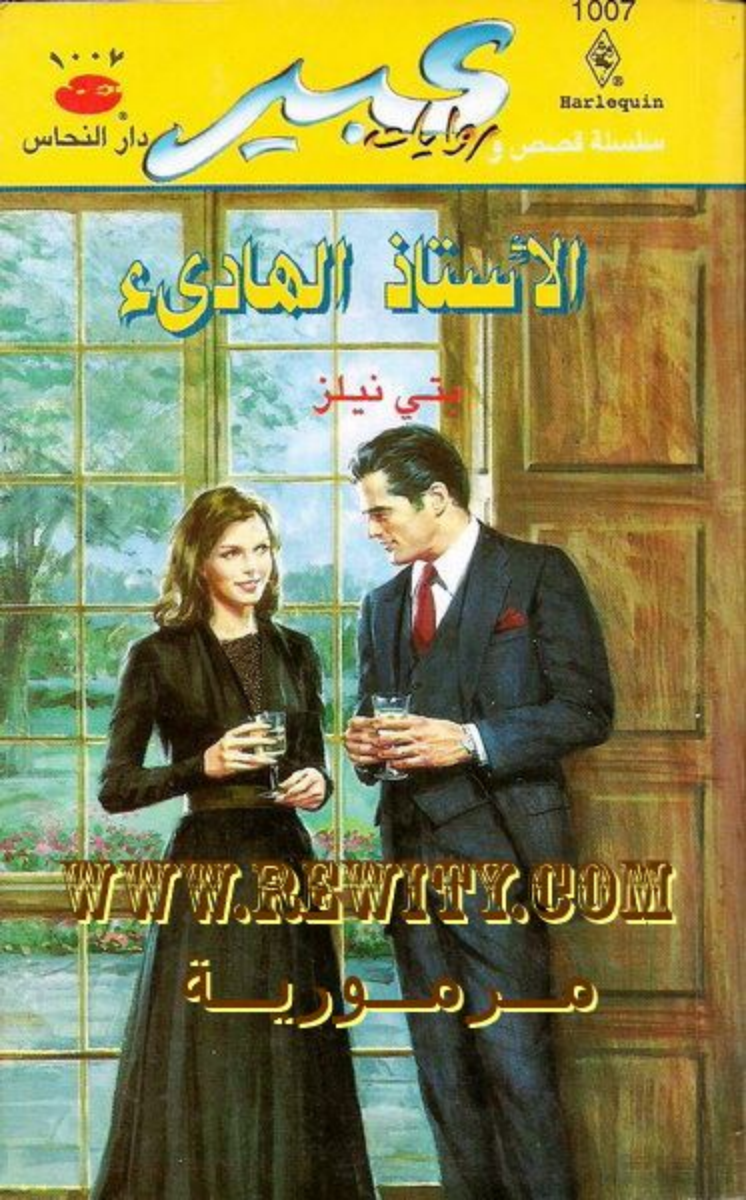

WWW.REWITY.COM

مرموريـــة

روايات عبير

الأستاذ الهادىء

بتي نيلز

كانت ميغان تملك كل شيء تريده، عملاً جيداً تمتعت بالقيام به وعائلة رائعة وخطيباً، أخبرها الجميع بأنه سيكون زوجاً صالحاً ومهتماً.

لكن فجأة، انهار عالمها هذا، ولم تعد متأكدة من شيء. إلا أن وجود الأستاذ الهولندي، جاك ڤان بلفيد أعاد قليلاً من الثقة في نفسها، التي اعتقدت أنها فقدتها نهائياً.

بدا مهتماً بمساعدتها لتعيد بناء حياتها. لكن ما هي دوافعه؟ من المستحيل أن يكون مهتماً بها، أيمكن أن يكون؟

«ما الذي يحدث معك؟» خاطبها بصوت هادىء

«لا شيء، يا سيدي،» ردت ميغان بحدة.

«لا تتكلمي هراء.»

«لا شأن لك بالتدخل في... في حياتي.»

«لا، لا، أنت مخطئة. أنا أعرض خدماتي، مثل كاهن تعترفين له، أنا كتف تستندين إليه وقت الحاجة، أو إذا فضلت، مثل غريب متجرد.»

RIWAYAT ABIR 1007

الأستاذ الهادئ

بتي نيلز

مؤسسة النحاس
لتوزيع الصحف والمطبوعات
بيروت. لبنان

بتي نيلز

أمضت بتي نيلز طفولتها وشبابها في ديفون شاير، قبل أن تتدرب على التمريض والتوليد. كانت ممرضة في الجيش، خلال الحرب العالمية، وتزوجت من رجل هولندي، وعاشت معه في بلده مدة أربع عشرة سنة. تقيم، في الوقت الحاضر، مع زوجها في دورست. عندها ابنة وحفيد. هواياتها، المطالعة، تربية الحيوانات الأليفة، مشاهدة الأبنية الأثرية والكتابة. بدأت بتي الكتابة عندما تقاعدت من التمريض، وعندما سمعت سيدة في مكتبة، تشتكي من قلة الروايات العاطفية.

الفصل الأول

كان ممر الطابق الأعلى من المستشفى معتماً ومهجوراً إلا من طاقم قسم المرضى أو زائر له. هناك، عند زاوية ذاك الممر، وقفت إحدى الزائراتِ مرتاعة أمام صحن محطم وقد سالت محتوياته أمام قدميها. في هذه اللحظة، مر شخص مصادفة وشاهد الفوضى المرعبة على الأرض. كان الشخص فتاة طويلة رائعة البنية ذات شعر أسود كثيف معقوف إلى الوراء بأناقة. إنها فتاة جميلة بالفعل بعينيها البنيتين الواسعتين.

قالت بهدوء: «الممرضة ويلز، كنت تركضين. أظن أن هذا السائل هو عينة السيدة دودس؟ أرجوك اذهبي وقولي للأستاذ ڤان بلفيلد إنك أوقعت هذه العينة.»

أجابت الممرضة ويلز، التي كانت تخاف رؤساءها: «إني لا أجرؤ على ذلك أيتها الأخت، إنه يرعبني. ففي الأسبوع الماضي عندما أوقعت الملقط في الجناح، نظر إلي. صحيح أنه لم يفعل شيئاً، إلا أنه حدق بي - هل يمكنني أن أكتب له ملاحظة؟»

عندها قالت ميغان رودنر مبتسمة: «لا أظن انها فكرة جيدة أيتها الأخت.»

أوشكت الممرضة ويلز على الإنفجار بالبكاء فسارعت ميغان إلى القول: «أرجوك عودي إلى الجناح وأطلبي من الرئيسة أن تعطيك شيئاً يهدىء أعصابك وأنا سأشرح الأمر للأستاذ ڤان بلفيلد.»

«آه، أيتها الأخت. أنت رقيقة فعلاً. سأعمل بجهد من الآن فصاعداً...»

وقفت ميغان محدقة إلى نتيجة فحوص السيدة دودس التي استغرقت عدة أيام ولم تكن السيدة متعاونة، حينذاك، وهي بالتأكيد لن تكون كذلك الآن. سينزعج الأستاذ من هذه الحادثة ولكنه، كعادته، سيخفي غضبه وراء وجه بارد وهادئ. على كل حال، ميغان، بخلاف الممرضة ويلز لا تخافه، بل إنه يعجبها قليلاً كإعجابها بأي شخص رفيع ومهذب.

عبرت ميغان ممراً صغيراً وفتحت الباب الموجود عند نهايته. كان المختبر عبارة عن مجموعة غرف كبيرة مملوءة بكثير من العمال والمعدات. تبادلت التحيات مع الجميع وطرقت باب الغرفة الأخيرة.

بدت غرفة الأستاذ هادئة جداً بعد كل ذلك الضجيج الذي مرت به في باقي القسم. كان الأستاذ يجلس خلف مكتبه منهمكاً في الكتابة، فبدا طويلاً، عريض المنكبين ذا شعر فاتح متموج يخالطه الشيب.

«نعم؟» قال من دون أن يرفع نظره.

«الأخت رودنر من جناح الملكة يا سيدي. عينة السيدة دودس...»

«آه، أجل، أتركيها مع بيترز، سأراها بنفسي.» ثم أضاف ببطء: «شكراً أيتها الأخت.»

فقالت ميغان بسرعة: «إنها ليست معي. لقد تحطم الصحن.» رفع نظره مستطلعاً وجهها بعينين زرقاوين باردتين مما أعطاها فرصة لتدرس وجهه. كان وسيماً

بأنفه الأرستقراطي وفمه الذي يمكن أن يصبح رفيعاً في بعض الأحيان. وهذا ما كان عليه الآن.

قال بصوت هادئ: «أين هي؟»

«في الممر.»

وقف قائلاً: «تعالي معي وسنرى.» أمسك الباب فمرت من أمامه واتجها إلى مكان الحادث. وقفت صامتة فيما انحنى هو ليلقي نظرة عن كثب، ثم استقام متمتماً شيئاً لم تستطع أن تفهمه. لا بد أنه شتيمة هولندية وهي في الواقع لا تلومه على غضبه. سأل برقة: «هل أوقعت الصحن أيتها الأخت؟»

نظرت إليه وجهاً لوجه. «سيدي، لقد وقع.»

«هكذا إذاً، وعمّن تتسترين؟»

عندما لم تجب قال: «ربما أنت خائفة من أن تخبريني.»

«يا إلهي، لا، أنا لا أخافك وأنت تعلم ذلك.»

لم يقل شيئاً إلا أنه رماها بنظرة باردة. «على الأقل، أجري تلك الفحوص ثانية. وعندما تنتهي أرجوك أن تعلميني بالأمر لأرسل أحد التقنيين إلى جناحك كي يحضرها.»

قالت مبتسمة: «حسناً سيدي، أنا آسفة بشأن الحادثة، إنه فعلاً للطف منك ألاّ تنزعج.»

«أنزعج؟ أنا غاضب جداً. طاب مساؤك.»

راقبها الأستاذ وهي تذهب. بدت أنيقة بزيها الأزرق الداكن وذلك الغطاء من الموسلين الذي تعتمره عادة الأخوات في الريجنت فوق رؤوسهن. بقي يراقبها حتى توارت عن نظره. عندها فقط عاد إلى مكتبه.

رجعت ميغان إلى جناحها حيث أمضت ربع ساعة في

إقناع السيدة دودس بضرورة إعادة إجراء الفحوص. ثم عادت إلى مكتبها لتشرب فنجاناً من الشاي وتنظم دفتر العطل، حين انضمت إليها الممرضة جيني مورغان.

«الممرضة ويلز ترتب خزانة البياضات ولكنها لا تزال تبكي.»

«هل هناك ما يكفي من الممرضات لإبقائها هناك؟ سيبدأ العمل خلال دقائق، ستأخذين الحالة الأولى، أما الثانية فستكون للممرضة كريج.»

«هل كان مغتاظاً؟»

«أجل ولكن بأدب. سيرسل أحد التقنيين عند جهوز العينة الثانية.»

«حسن. لا أحد يعرف عنه شيئاً، أليس كذلك؟ لعله خدع بالحب.»

بدت جيني الواقعة في الحب دائماً، متعاطفة.

فتحت ميغان جدول العطل ثانية وقالت بعدم اهتمام: «أراهن على أنه متزوج وله دزينة أولاد. لا بد أنه لطيف في بيته.»

حين ذهبت جيني، عادت ميغان وركزت على جدول العطل ولكن ليس لمدةٍ طويلة. فقد كانت خارجة ذلك المساء في مناسبة خاصة حيث ستلتقي أهل أوسكار. تمت خطوبتهما منذ ستة أشهر، وهذه هي المرة الأولى التي ستلتقي فيها عائلته. كان أوسكار طبيباً شرعياً طموحاً، ذا مستقبلٍ واعد. تقابلا منذ سنةٍ أو أكثر. وبمرور الوقت تقدم لطلب يدها. كان ذلك قبل يومين من عيد ميلادها الثامن والعشرين. وبما أنه كان مولعاً بها، أعجبها. صحيح أنها

لم تكن تحبه بشغف، إلا أنها وافقت على الخطوبة. تقدم منها في الماضي الكثير من طالبي الزواج إلا أنها رفضتهم جميعاً. فلطالما حلمت بإنسان مميز يجعلها تشعر أن الحياة من دونه مستحيلة. إلا أنها كانت في أوقات كثيرة تعي أنها تطلب الكثير من الحياة. وبرأيها أن الحب الثابت والميل إلى الأشياء نفسها كافيان لبناء زواجٍ ناجح. على كل حال، مع الوقت أصبحت راغبة في أن تصبح السيدة أوسكار فيلدنغ. لذلك حاولت ميغان أن تكيّف نفسها مع آراء أوسكار حيال الأنوثة، إذ أنه ألمح إلى أنها مبذرة كثيراً، فما حاجتها لشراء كل تلك الثياب والأحذية الإيطالية الثمينة، بينما تمضي معظم وقتها في الزي الرسمي؟ هذا صحيح. كان أوسكار دائماً لطيفاً عند إبداء ملاحظاته هذه، لذا عملت جهدها كي ترضيه. إلا أنها كانت تتساءل أحياناً هل هي توافقه فعلاً على مبادئه في الحياة؟ لكن الحق يقال، إن أوسكار لم يك ليرضى أبداً أن تشارك بالمصاريف عندما يخرجان معاً، حتى أنه لمح إلى ضرورة التوفير للمستقبل. مهما يكن، يجب عليهما مناقشة الموضوع. فهي ليست مبذرة. صحيح أنها تشتري عادة ملابس أنيقة كلاسيكية إلا أنها لم تشترِ شيئاً مؤخراً، رغبةً في إرضائه.

بقيت ميغان مناوبة في جناحها حتى الخامسة حين سلمته إلى جيني.

«هل أنت خارجة؟»

«نعم، مع أوسكار لمقابلة والديه.»

«أتمنى لك أمسيةً جميلةً. غداً يوم عطلة، أظنك ستذهبين إلى مكانٍ لطيف.»

كانت جيني تحب الأخت رودنر، على الرغم من أنها تظن أن أوسكار متكبرٌ، لا يستحق تلك المخلوقة الجميلة التي تتحضر الآن للخروج من المكتب.

تفحصت ميغان خزانتها. يجب أن تختار شيئاً مناسباً، ولكن هل هناك شيء مناسب لمقابلة من سيصبحون أهلها في المستقبل؟ قررت أخيراً أن ترتدي فستاناً من الكريب الصيني، أزرق سماوياً ذا كمين طويلين وياقة عالية، وارتدت فوقه معطفاً من الصوف، طويلاً، أزرق داكناً، غالي الثمن. كذلك اختارت أجمل ما عندها من الأحذية الإيطالية، مع ما يناسبه من قفازات وحقيبة ونزلت إلى مدخل المستشفى.

كان أوسكار في انتظارها يتحدث مع الأستاذ ڤان بلفيلد الذي لاحظها، ولكنه تجاهلها. لم تكن ميغان من النوع الذي يرتبك أبداً. سارت باتجاههما قائلة: «مساء الخير سيدي، مساء الخير أوسكار.»

رد الأستاذ التحية وقال أوسكار بكل ثقة: «آه، أهلاً ميغان، أكيد تعرفين الأستاذ.»

فقالت مبتسمةً: «بالطبع.»

عندها قال الأستاذ بلهجةٍ ثابتة: «لا تدعيني أوْخركما. أتمنى لكما أمسيةً سعيدةً.»

«أنا متأكدٌ من ذلك يا سيدي فميغان ستلتقي والدَيْ للمرة الأولى.»

قال بوجه جامد وهو ينظر إلى خاتمها الماسي: «هذا شيءٌ جميل.»

راقبهما الأستاذ وهما يستقلان سيارة أوسكار القديمة ثم عاد إلى الأجنحة.

أتى والدا أوسكار إلى لندن من أسكس. فمن عادتهما أن يمضيا، كل سنة، عدة أيام في فندق متواضع، كذلك يحضران حفلةً موسيقية ويشاهدان مسرحيةً وبالطبع يمضيان مع ابنهما أطول وقتٍ ممكن. كانت ميغان قد تلقت رسالةً رقيقةً ومهذبةً من والدة أوسكار عند خطوبتهما. إلا أنها تشعر الآن بقلقٍ شديدٍ لاعتقادها بأنها لن تعجب والديه وبأنهما لن يعجباها. وعندما أفصحت عن أفكارها لأوسكار قال ضاحكاً: «أكيد ستعجبون ببعضكم البعض، فليس هناك من سبب لحصول خلاف ذلك.»

عندما وصلا إلى الفندق وانضما إلى عائلة فيلدنغ في المقصف. أدركت ميغان أنها ووالدة أوسكار لم يعجبا بعضهما البعض من النظرة الأولى. إلا أن ذلك لم يكن ظاهراً. فقد تبادلتا القبلات وعبرا عن فرحتهما بملاقاة بعضهما أخيراً، وأبديتا ملاحظاتهما عن طقس آذار الرائع. بعد فترة وجيزة، تكلمت مع والد أوسكار. كان رجلاً قصيراً ذا شارب عريض. لقد أعجبها، إلا أنها لم تحظَ بفرصة للتحدث معه. إذ حجز أوسكار طاولةً صغيرة وطلب المشروبات. ثم انغمس بالحديث مع والده.

شربت ميغان الشراب والتونيك اللذين لم تطلبهما ولم تكن تحبهما، وتبادلت حديثاً قصيراً مع حماتها. غير أن السيدة فيلدنغ احتكرت الحديث واستجوبتها عن حياتها، وعائلتها، والمدرسة التي تعلمت فيها، وعمرها بالإضافة إلى التعبير عن أملها بأن تكون ميغان سيدة بيت، فقد اوجزت بكل صراحة، أن النساء لا يحق لهنّ العمل أبداً حين تكون لديهن عائلةٌ وزوج للإعتناء بهما.

نظرت ميغان إلى جليستها. كانت امرأة بدينة ذات أنفٍ حادٍ وعينين غائرتين، ترتدي ثياباً رخيصةً، وتسرح شعرها بطريقةٍ مخيفة. لقد أخبرها أوسكار، أن والديه بحالةٍ ميسورة ولكن يبدو أنهما حريصان على أموالهما، إذ أن السيدة فيلدنغ أمرت أن يطلبوا وجبة الطعام نفسها: «أنا متأكدة أننا سنستمتع بها. أظن أن كأساً واحدة من الشراب تكفينا.»

دهشت لأن أوسكار لم يمانع في تدبير والدته للأمور. فقد وافق على كل مقترحات والدته، حتى أنه فرح كثيراً لاقتراحها بالحصول على بعض المفروشات المخزونة في العلية عندما يتم الزواج.

سألت ميغان: «أي نوع من المفروشات؟»

«طاولات، كراسي، وخزانة كبيرة، وعددٌ من السجاجيد، التي ورثتها عن والدي. هذا بالإضافة إلى عدة أشياء من والد السيد فيلدنغ، كبعض الخزائن الجيدة والجميلة.»

إلتزمت ميغان الصمت إزاء هذه المقترحات، إلا أنها يجب أن تتناقش مع أوسكار حول الموضوع. فهي كغيرها من الفتيات، تريد أن تختار بيتها بنفسها. ترى أين سيكون هذا البيت؟ لا تعرف ميغان رداً على هذا السؤال. فهي وأوسكار لم يتحدثا بهذا الموضوع قط.

سألت ميغان وهما في طريق العودة إلى الريجنت: «أوسكار، ماذا تنوي أن تفعل عندما تنتهي من العمل في الريجنت؟»

«الحصول على مركز أعلى. أفضل البقاء هنا، ولكني لا اعتقد أن هناك مراكز شاغرة. على كل حال، هناك العديد من المستشفيات في لندن.»

«أتريد البقاء دائماً، في لندن؟»

«هذا ممكن. يجب أن أنتظر ما سيطرأ.»

«وأنا؟»

«إذا حصلت على عملٍ هنا أظن أنه من الأفضل أن تقيمي مع والدَيّ وسآتي لزيارتكم في عطلة نهاية الأسبوع وأيام العطل الأخرى. فالبيت على بعد ساعتين بالسيارة.»

«أنت لا تعني ذلك، أليس كذلك؟»

«أعنيه؟ طبعاً أنا أعنيه، فليس باستطاعتنا عمل شيء آخر. ثم لماذا نهدر أموالنا ونستأجر شقةً أو حتى غرفة وباستطاعتنا أن نعيش في بيت والدَيّ مجاناً؟» ثم ضحك وربت على ركبتها: «إذا ظننت أنك... لكن لا، فأنت فتاةٌ طيبة.»

رمقته ميغان بنظرة. كان وجهه جميلاً واضحاً وطبيعياً. فخلال سنوات، سيصبح طبيباً معروفاً ذا خبرة جيدة. كان مولعاً بها، على الرغم من أنها تشعر أحياناً أنه يحب عمله أكثر منها، وأنه ليس من النوع الذي يسحرها. في بعض الأحيان، كانت تحلم بإنسانٍ يسحرها.

رافقها أوسكار إلى مدخل مسكن الممرضات.

قالت ميغان: «غداً يوم عطلة.»

«لكني لن أستطيع أن أراك. متى عطلتك المقبلة؟ يمكن أن آخذ عطلةً يوم الأحد.»

«هل يمكنك ذلك؟ يمكن أن نذهب إلى منزلي فأنت لم تلتق عائلتي بعد. أنا حرة في عطلة نهاية الأسبوع الذي يليه.»

«سأرى ما يمكن عمله.» عانقها بسرعة: «نامي جيداً،

حاولي، خلال الأسبوع، أن تجدي ساعة أو إثنتين كي أقضيها معك.»

«سأبذل جهدي.»

دخلت ميغان غرفتها واسترجعت أحداث هذه الأمسية. صحيح أنها لم تكن ناجحة جداً، ولكن مع مرور الوقت يمكنها أن تتفق ووالدة أوسكار. من الأنسب له أن يغرم بفتاةٍ خجولة وهادئة ولطيفة مع والدته، وفوق كل ذلك، ترضى لاحتلالها مرتبةً ثانيةً في حياة زوجها. استغرقت في النوم وهي تفكر بطريقة تجعل منها تلك الفتاة.

في صباح اليوم التالي، عدلت ميغان عن الفكرة تماماً. فالخجل والرقة لم ينفعاها قط في العمل، ولم تحل مشكلاتها مع المشرف عن الغسيل المتأفف دائماً من كثرة استخدام البياضات في جناحها. ولم تفيدها أيضاً مع المسؤول عن الصيدلية ذي الطبع السيىء، الذي يستفهم دائماً عن كل طلبية، ثم يدّعي أنه لم يتسلمها قط. أمضت ميغان صباحاً مرهقاً ذلك اليوم. وفيما هي تتحضر لتناول الغداء، تمّ استدعاؤها فيما هي تقضم أول لقمةٍ من فطيرة شبرد. أعطتها مسؤولة قسم الحوادث، الأخت إيفا شامبرز، التفاصيل: «ستواجهين عملاً منهكاً. آمل أن هناك الكثير من الممرضين المناوبين.»

أصيبت امرأتان بجروح بالغة في الرأس، وقد كانتا متعبتين، مما جعل ميغان تستخدم كل طاقمها للعناية بهما. أعطى الجرّاح الاستشاري برايت أوامره بضرورة إجراء عملية في الحال: «حضريهما للعملية، وتأكدي من عدم وجود مرض فقدان المناعة. أرسلي بطلب أحد

من المختبر قادر على التعامل معهما، إذا اهتاجتا. فكلتاهما قويتان، ومن المحتمل اصابتهما بارتجاجات في المخ.»

تجاوب المختبر بسرعة. وفوجئت ميغان بالأستاذ ڤان بلفيلد يستجيب لنداء الطوارىء. قال بلفيلد لها بهدوءٍ: «علمت أنهما يعانيان من ارتجاج في المخ ففضلت المجيء بنفسي.»

«آه، هذا حسن، فكلتاهما مهتاجتان. لدينا أسرّة مسورة ولكنهما بالطبع ستحاولان النزول...»

كان الأستاذ الشخص المناسب للموقف. صحيح أنه لطيف، إلا أنه يمتلك قوةً تمكنه من السيطرة على المرأتين الغائبتين عن الوعي بسهولة فائقة. تركها الأستاذ وهي تحاول السيطرة عليهما. فتمنت لو أنه بقي ليساعدها، بعد انتهاء العملية.

وضعت السيدتان في غرفة العناية الفائقة، بعد إجراء العمليات، وهكذا عاد الجناح إلى طبيعته. كانت ميغان كالعادة سعيدةً لأخذها قسطٍ من الراحة بعد عناء يوم طويل، عشاء مع كوب من الشاي، وحمام ساخن، وسرير. هذا ما كانت تفكر به بسرور وهي في طريقها إلى البهو. أخيراً وصلت إلى المدخل حيث شاهدت الأستاذ أمامها. لا بد أنه في طريقه إلى بيته، ترى أين بيته؟ لماذا يتأخر في العمل؟ بالتأكيد، هو لا يحتاج للعمل لمدة اثنتي عشرة ساعة يومياً.

إستدار الأستاذ، فرآها فيما كانت تسير عبر المدخل. «يومٌ مرهق أيتها الأخت رودنر. طاب مساؤك.»

بادلته التحية، وبقيت تراقبه حتى استقل سيارته الرولس

رويس، وانطلق فيها، تمنت للحظة لو أنها تستطيع أن تذهب معه وترى أين يعيش.

دامت العطلة من يوم الأربعاء حتى منتصف ليل الخميس. يقع مستشفى الريجنت شمالي النهر، بمجمعه الذي يمتد وسط شوارع مأهولة بكثيرٍ من البيوت والمصانع الصغيرة والأبنية المهملة. لاحظت إيڤا شامبرز استمرار حصول الشيء نفسه، عند نهاية كل يوم عملٍ طويل: «إذا لم يمت الناس بسبب الحوادث في المصانع، فإنهم يُداسون بسيارةٍ أو يطعنون من قبل شاب أرعن.» كانت عطلة نهاية الأسبوع في الواقع هي الأسوأ دائماً. لذلك شكرت ميغان ربَّها على أن يوم الأربعاء أصبح قريباً.

صحيح أنها لم تر أوسكار إلا مرةً أو مرتين لمدةِ ساعة في مقهى قريبٍ من المستشفى، إلا أنها كانت تخرج في أيام العطل للتنزه مهما كانت تعبة. لم يكن أمامها خياراتٍ كثيرة، فاكتفت بنزهةٍ قصيرة. كان الطقس رائعاً وجميلاً في نهاية آذار. فكان مريحاً أن تتمشى في الحديقة الخضراء حيث يوجد الكثير من الأشجار والزهور الجميلة. تذكرت ميغان بفرح أنها ستذهب في الأسبوع القادم مع أوسكار إلى بيتها. وفي الأسبوع الذي يليه، ستحصل على شقتها الخاصة. إذ أن إحدى الممرضات ستتزوج، وهكذا سوف تشغر الشقة الصغيرة التي عاشت فيها لسنواتٍ عديدة. صحيح أن أوسكار لم يرحب بالفكرة، إلا أنها وجدت أنها فرصة رائعة في أن يكون لديها مكان تذهب إليه، حيث تستطيع أن تطهو وتتحدث مع أوسكار، وهما نادراً ما يجدان الوقت لذلك.

عاد الجناح إلى طبيعته الرتيبة. طلبات ادخال مرضى وتسريح الذين انتهى علاجهم، بالإضافة إلى المعاينات وتحضير الوجبات، وتوزيع أيام العطل بين الممرضات ومواصلة صراعاتهن مع المسؤول عن الغسيل، إلا أنها أصبحت بعد أربع سنواتٍ، قادرةً تماماً على إدارة الجناح بكل تعقيداته.

كان أوسكار مشغولاً حتى يومُ الأحد. وعلى الرغم من أنها كرهت أن تمضي يوم العطلة في البيت، وجدت الفرصة سانحة لتذهب إلى الشقة وتجري التحضيرات اللازمة للانتقال إليها. كانت قد قابلت صاحب المبنى الذي يشغل الطابق السفلي ويؤجر الطابق العلوي لسيدة رصينة أرستقراطية. وهي، برأيه، تضفي صيتاً حسناً على الشارع المهمل.

على كل حال، سواء كان مهملاً أم لا، فهو قريب من المستشفى. وفي الواقع كانت ميغان تتوق لكي يصبح لها شقةً حتى ولو كانت في بهو. أمضت ميغان معظم يوم السبت في ترتيب وتوضيب محتويات الشقة وأغراضها مع المستأجرة السابقة، ووافقت على الاحتفاظ بالمفروشات البسيطة والاهتمام بقطِ شريد موجود في الشقة. إذ أنه لأمر جميل أن يكون لها في الأمسيات رفيق لطيف ودود. عادت إلى المستشفى ذلك المساء باكراً، متشوقة لكي تنتقل إلى الشقة. وقد لاحظت برضى شديد أن قطع المسافة استغرق خمس دقائق فقط، من البيت إلى المستشفى.

انطلقت هي وأوسكار باكراً في صباح اليوم التالي. بيت أهلها يقع في باكنغ هامشير في قرية صغيرة شمالي مدينة

تايم. ويعمل أبوها كشريك في مؤسسة محاماة. وقد عاش معظم حياته في سوينلي، متنقلاً بين مكتبه في التام وايلزبري. لقد ولدت هناك، كذلك أخوها، وأختها، وعلى الرغم من أنها تحب عملها، إلا أنها كانت في أعماقها فتاة قروية. كانت تملك في الماضي سيارة صغيرة، وتمضي عطلة نهاية الأسبوع في البيت. لذلك، أملت أن يحظى أوسكار بعمل في القرية. تصميمه على العمل في لندن أزعجها قليلاً، كم تتمنى لو أنه يمضي يوماً في بيتها مما قد يحمله على تغيير رأيه.

تبعد قرية سوينلي عن مستشفى الريجنت حوالي ستة أميال. سلك أوسكار عندما خرج من الضواحي الطريق رقم أ ٤١ وعندما وصل آيلزبري اتجه نحو طريق التام قبل أن يسلك الشارع الضيق المؤدي إلى سوينلي.

«كنا وصلنا أسرع لو سلكنا طريق م ٤٠.»

«أجل أعرف، ولكن هذه الطريق أجمل. فأنا لا أحب الطرق السريعة. لكن يمكننا أن نسلك تلك الطريق في العودة، إذا أردت.»

شعرت ميغان بخيبة لقلة اهتمامه بالريف. فبعد تلك الطرق المضجرة حول المستشفى، كان من الممتع أن ترى كل تلك الحقول الخضراء المملوءة بزهر الربيع، والأشجار الصغيرة المخضرة. فقد أتى الربيع باكراً هذه السنة.

بعد هذا المنظر الرائع، سلكا طريقاً أضيق من السابق، يؤدي إلى القرية. شعرت ميغان بسعادة عارمة عند رؤيتها قرميد البيوت الصغيرة وقالت: «مُر من داخل القرية. بيتنا له بوابة بيضاء، إنه الأول من اليسار.»

كانت البوابة مفتوحة، فسلك أوسكار الطريق القصيرة وتوقف أمام باب بيتها المفتوح. كان بيتها من الطراز الفيكتوري يعود إلى القرن السابع عشر، ذا جدران بيضاء ونوافذ خشبية. تمتد أمامه مروج مملوءة بورد الدفلى ومحاطاً بأشجارٍ خضراء كبيرة.

نظرت بوجهٍ مشرق إلى أوسكار. «لقد وصلنا إلى بيتي، أدخل، أمي في انتظارنا.»

كانت أمها قد أصبحت فعلاً على الباب. لا تزال امرأة جميلة، بطول ابنتها تقريباً. «حبيبتي، أتيت أخيراً وقد أحضرت أوسكار معك أيضاً.» ثم حضنت ميغان وسلمت على أوسكار. «لقد سمعنا الكثير عنك ونشعر وكأنك واحد منا. تفضل وقابلي زوجي.»

دخل السيد رودنر إلى الصالة يحمل جريدة الأحد في يده، ويضع نظارات على أنفه. كان أكبر عمراً من زوجته بكثير، ذا شعرٍ أبيض كثيف وعينين رماديتين ووجه مربع. حضنت ميغان أباها قبل أن تقدم إليه أوسكار: «أخيراً تمكنا من أن نأتي معاً. هل الباقيان هنا؟»

قالت أمها: «إنهما في الكنيسة، ولكن سيكونان هنا خلال نصف ساعة، سنشرب فنجان قهوة، ونتحدث قليلاً قبل أن يصلا.»

وصلت ميلاني، وكولن بعد ذلك بقليل. كانت ميلاني هادئة بخلاف أمها وأختها. فهي فتاة خجولة ورقيقة، ذات جسم صغير نحيل، بشعرٍ ذهبي وعينين زرقاوين. أعجب أوسكار بها كثيراً، إلى حد أنه لم يبعد نظره عنها. فرحت ميغان كثيراً برؤيتهما، وشعرت في الحال أنهما صديقاها.

بعد قليل تركتهم ميغان يتحدثون، وذهبت إلى الحديقة لترى أرانب كولن، ولتساعد أمها في إعداد طعام الغداء.

لاحظت بارتياح شديد أن أوسكار يتصرف وكأنه في بيته وأن والديها أحباه. كانت قد خططت لنزهةٍ في الحديقة بعد الغداء ليتكلما قليلاً عن مستقبلهما، إلا أنها عدلت عن الفكرة بعد أن لاحظت سعادته برفقة والدها.

وفيما كانتا تحضران الشاي، قالت لها أمها وهي تلمع الكؤوس: «لقد أعجبني خطيبك. يبدو أنه حساس ومستقيم. أنا متأكدة يا حبيبتي، من أنه سيكون زوجاً رائعاً.»

قالت ميغان بتردد: «أجل، ولكن لا أظن أننا سنتزوج قريباً. فهو مصمم على الاستقرار في لندن، وأنا أفضل لو أنه يجد عملاً في الريف. أمي، أنا أحب عملي، ولكنني لا أحب لندن، على الأقل الجزء الذي نعمل فيه.»

«ربما يمكنك أن تقنعيه بتغيير رأيه، فهو لا يريد أن يتخصص. أليس كذلك؟»

«لا، لكنه مصمم على الحصول على أكبر قدر ممكن من المؤهلات مما يعني العمل في المستشفيات لوقتٍ طويلٍ.»

«حبيبتي، هل أعجبك والديه؟»

قالت ميغان وهي تجفف آخر سكينة: «في الحقيقة، والده هادئ ولطيف، إلا أنني حاولت جاهدة أن أحب والدته، ولكنها لا تحبني. فهي، كما تقول، لا تحب النساء العاملات.»

«ولكنك لن تعملي حين تتزوجين، أليس كذلك؟»

«لا. أوسكار لا يريد ذلك. فهو يرى أنه من الأفضل أن يحصل على عملٍ في أحد المستشفيات التعليمية بينما أقيم أنا مع والديه...»

قالت أمها بحدة: «لكن ذلك لن ينفع، فماذا ستفعلين طوال النهار، كما أنه لن يكون بيتك. ميغان، بعد أن استلمت إدارة جناح لسنين طويلة، لن يكون من السهل عليك أن تخضعي لأم أوسكار. خاصة أنك لا تحبينها...»

«ماذا سافعل؟ إنها مشكلة أليس كذلك؟»

«أصبري يا حبيبتي، أعرف أنه أمر صعب، ولكنها الطريقة الوحيدة.»

عادا إلى الريجنت بعد أن ودعت عائلتها، وقبلتهم فرداً فرداً، وألقت نظرة على كلب العائلة السلاقي المسنّ والقطة كاندي، ثم قطفت باقةً من ورد الدفلى لتزين بها شقتها.

سألت بعد أن استقلا السيارة: «حسناً، هل أعجبتك عائلتي؟»

«كثيراً. أخوك ذكي جداً، أليس كذلك؟ لا شك أنه متفوق في المدرسة.»

«أجل، لحسن الحظ. فوالدي يريده أن يستلم مكانه في المؤسسة فيما بعد.»

«اما أختك، إنها أخاذة كملاكٍ خجول. أنت لا تشبهينها أبداً.» ثم أضاف عندما ضحكت ميغان: «أرجوك لا تسيئي الظن بي، فأنت تعرفين ما أعني، هل هي تعمل؟»

«لا، إنها تساعد أمي في البيت، ولكنها تطرز بالإبرة بشكل رائع، كما أنها تلون وترسم وتصنع قفازاتها بنفسها، والأهم من ذلك أنها طاهية ماهرة.»

«كانت العوامة التي تناولناها مع الشاي شهية. أحب أن أتخيلها وهي تعمل في المطبخ...»

ارتبكت ميغان من هذه الملاحظة، إلا أنها فضلت أن لا

تخبره أنها هي التي حضرت العوامة فيما كان يتحدث مع ميلاني في غرفة الاستقبال. إنه أمر طبيعي أن يظنها تجهل فن الطهي طالما أنها مشغولة دائماً في الجناح.

إفترقا عند مدخل المستشفى.

قال أوسكار بحرارة: «لقد كان يوماً رائعاً. لم أستمتع هكذا منذ وقت طويل.»

فرحت ميغان كثيراً بهذه الملاحظة فقالت: «إذاً، يجب أن نعيدها مرة ثانية، لا تنس أنني سأنتقل إلى شقتي هذا الأسبوع. إذا لم تكن مشغولاً مساء الخميس يمكنك أن تأتي للعشاء.»

بما أنه لم يكن هناك أحد، لثمها أوسكار على خدها قائلاً: «هذا موعد. ماذا سنأكل؟ بازيلاء مع توست وقهوة طازجة؟»

«على الأرجح. من الأفضل أن تُحضر معك زجاجة شراب. تصبح على خير.»

قبل أن تذهب إلى النوم، وضعت ميغان لائحة طعام، ستجعل أوسكار يغير رأيه عن البازيلاء.

غادرت المستأجرة السابقة يوم الإثنين. وفي مساء الثلاثاء، ذهبت ميغان إلى الشقة. كانت ميغان قد قابلت صاحب الشقة، وأحضرت واحداً لينظفها. لذلك، لم يبق عليها سوى توضيب الشقة. وبما أن ميغان كانت غير مشغولة في تلك الليلة، عادت إلى المستشفى ووضعت معظم ثيابها في حقيبة، وملأت حقيبة أخرى بالكتب وعادت إلى الشقة. عندما وصلت إلى مدخل المستشفى تقدم منها الأستاذ بلفيلد وأخذ الحقيبة من يدها.

«إسمحي لي، السيارة قريبة من هنا.»

وقفت ميغان تنظر إليه، ثم سألته بغباء: «السيارة؟ ولكنني ذاهبة...»

«إلى شقتك الجديدة بلا شك، سأوصلك إليها بطريقي.»

«هذا لطف منك، ولكن، في الحقيقة، لا حاجة لذلك.»

لم يجب، بل وضع يده الكبيرة تحت مرفقها، وأخذ حقيبة الكتب وقادها نحو السيارة. إنه لأمر مريح أن تجلس بقربه، إلا أنها لم تستمتع كثيراً، فلم تستغرق الطريق أكثر من دقيقة.

توقف أمام بيتها العتيق، وأخذ منها مفتاح الشقة، ليفتح الباب، ثم أضاء الغرفة وعاد ليأخذ الحقيبتين. صحيح أن الشقة بدت خاليةً، إلا أنها كانت نظيفة ولا تحتاج سوى لبضع أرانك وأزهار وصور ومدفأة صغيرة. كانت ميغان تقف في الصالة، تشكر الأستاذ عندما مر به القط مسرعاً.

«لك؟»

«أجل، فقد قالت المستأجرة السابقة إنها كانت تعتني به. سأحضر بعض الحليب، لا شك أنه جائع.»

تجمع بعض الصغار حول السيارة، ونظر الأستاذ إليهم واختار أكبر ولد وناداه: «إذهب إلى المتجر عند نهاية الطريق، أظنه ما زال مفتوحاً. إشترِ علبتين من طعام القطط وبعض الحليب.» أعطى الصبي بعض المال وقال: «ستحصل على خمسين بنساً إذا أسرعت.»

«في الحقيقة لم يكن هناك حاجة...»

قال الأستاذ بكل ثقة، ناهياً المناقشة: «الحيوان جائع. أنت لا تنوين البقاء هنا هذه الليلة؟»

«لا. سأنتقل إلى هنا غداً. عندي عطلة يوم الخميس. سأطهو عشاءً رائعاً، فأوسكار سيأتي. دكتور فيلدنغ.»

قال ببرودة: «أجل، أعرفه.» بدا مستعجلاً، فارتاحت عندما عاد الصبي بسرعة حاملاً الحليب وطعام القطط. «أعطها إلى السيدة.» ثم أعطاه بعض المال قائلاً: «إشترِ لك ولأصدقائك بعض الحلوى.»

نظر الصبي بسعادة إلى المال وصرخ باتجاه الأولاد: «أنت رجل طيب.»

شكرت ميغان الأستاذ على مساعدته، وتمنت له أمسية سعيدة، ثم راقبته وهو ينطلق بسيارته، قبل أن تدخل إلى الشقة لتطعم القط وتفك أمتعتها. بعد أن شبع القط، جلس يراقبها. كان نحيلاً جداً ومهملاً، ولكنه سيصبح، بقليل من العناية والدلال، رائعاً. «ليس لك إسم؟ بما أنك تنتمي إلى هذا البيت يجب أن يكون لك إسم. ترى من أين أتيت؟ منذ متى وأنت تتجول في شارع ميريدث؟»

ربتت على رأسه وقالت: «بالطبع هذا هو اسمك. ميريدث.»

كان هناك باحة مهملة خلف البيت، حيث يحتفظ المستأجرون بسلال المهملات. فتحت ميغان شباك المطبخ كي يتمكن القط من الدخول والخروج متى يريد، ثم وضعت له طعاماً وتمنت له ليلة سعيدة. لم تكن مرتاحة لفكرة ترك الشباك مفتوحاً، إلا أنها لم ترد أن تبقيه في الخارج مدة طويلة. على كل حال، كان حائط الباحة عالياً جداً.

كان الجناح مشغولاً جداً في اليوم التالي، واقتربت أيام

العطلة ثانية. شعرت ميغان بالذنب، لأنها ستأخذ عطلتها والعمل في المستشفى متراكم. ولكن جيني ستأخذ عطلة نهاية الأسبوع، مما يعني انهماكها في العمل لساعاتٍ طويلة. كانت ميغان تعبة في المساء، إلا أنها كانت حرة حتى صباح يوم الجمعة. لذلك، أخذت باقي أغراضها إلى الشقة حيث استقبلها ميريدث. رتبت السرير الذي يتحول إلى كنبة في النهار وتناولت العشاء، وأطعمت القط ثم جلست قرب النار، لتضع لائحة بالأغراض التي ستحتاجها لعشاء يوم غد. أصبح كل شيء جاهزاً الآن. مدت السرير، ثم أخذت حماماً ساخناً ونامت بهدوء إلى جانب ميريدث، الذي تسلق السرير ونام على حافته.

فتحت ميغان عينيها، حين تسلل إلى السرير وتمتمت: «تحتاج إلى حمام جيد.» ثم أغلقت عينيها ونامت.

الفصل الثاني

استيقظت ميغان باكراً لإنشغالها في كثير من الأمور. تناولت فطورها، وأطعمت ميريدث، ثم رتبت بيتها الصغير وذهبت لتتسوق. إستقلت الحافلة إلى شارع مايل رود حيث ملأت سلتها بالأطعمة وعادت مسرعةً إلى الشقة.

أضفت باقة الدفلى التي أحضرتها معها، الإشراق على الغرفة المعتمة، التي أضيئت قليلاً بأشعةِ شمسٍ خفيفة، منبعثةٍ من خلال النافذة. فكرت ميغان بسرورٍ وهي تفرغ السلة، أن ستائر صفراء مزركشةً وأضواءً خافتةً، بدلاً من تلك الأضواء الساطعة التي اختارتها المستأجرة الأخيرة، ستضفي بعض اللمسات اللطيفة على الشقة. كل ذلك يمكن أن ينتظر، المهم الآن هو إعداد العشاء. أعدت لنفسها بعض القهوة مع توست وزبدة، وأطعمت القط، ثم بحثت عن قطعة من صوف ليجلس عليها.

فرشت مشترياتها بعد ذلك في مطبخها الصغير لتبدأ بإعداد الطعام. شرّحت البصل الخاص بحساءِ البصل، وقشّرت البطاطا، وقطعت الجزر، ثم تبّلت أضلاع الخروف. بعد ذلك أعدت كل شيء لتحضير الكاسترد. سينتهي عمل أوسكار عند السادسة، مما يعني أنه سيصل في السادسة والنصف. إذن أمامها متسع من الوقت. لذلك، باشرت في إعداد عوامة بالجبنة ووضعتها في الفرن. ثم دخلت الغرفة لتجهز الطاولة وتشعل النار. بعد أن تأكدت من كل شيء

ورضيت بإنجازاتها، ارتدت احد فساتينها الجميلة، ورتبت شعرها ووجهها. بعد ذلك حضّرت فنجاناً من الشاي وتناولت إحدى قطع العوامة وباشرت بالطبخ. كانت حرارة الفرن ملائمة ولكن سعته قليلة، مما اضطرها لإعداد الحساء أولاً، لتشغر مكاناً لوعاء الصلصة. وضعت ميغان بعض غصون الحصالبان حول أضلاع الخروف، ووضعته في الفرن ثم حضرت الكاسترد. لم تكن متأكدة من نوع المشروب الذي عليها أن تشتريه. لذلك، قررت أن تشتري بعض زجاجات الجعة. عادت لتلقي نظرة على الطاولة، فشعرت بالرضا لأن الغرفة بدت رحبة ومرتبة بكرسيها وطاولتها قرب المدفأة. أما باقي الغرفة، فكانت مفروشة بطاولة الطعام الموضوعة تحت النافذة، بالإضافة إلى كرسيين وخزانة ورفوف على طول الحائط. باختصار، بدت الغرفة بكل محتوياتها مع المصباحين المضاءين مريحة وجميلة. فتحت شباك المطبخ لتدع ميريدث يخرج، واعدةً إياه بعشاء لذيذ عند عودته. سيصل أوسكار خلال نصف ساعة.

باشرت بتحضير كوكتيل الفواكه. كل شيء أصبح جاهزاً إلا أن أوسكار لم يظهر بعد. مرت عشر دقائق على الموعد حين رنّ جرس الهاتف. بدا أوسكار فرحاً: «ميغان، لقد طرأ شيء. لن تمانعي إذا لم آت، أليس كذلك؟ أحد العاملين معنا، أعلن خطبته، ونحن نقيم له حفلة صغيرة.»

هذا صحيح، فقد سمعت أصوات ضحك وغناء من خلال الهاتف، بالإضافة إلى أصوات نساء. إلا أنها لم تدع الغيرة تأكلها، فهناك العديد من الطبيبات في الريجنت، سألته إذا كان سيأتي لاحقاً.

«غير ممكن. فالحفلة ستستمر لعدة ساعات. أنا مسرور لأني لست في الخدمة.»

قالت والدم يغلي في عروقها: «للأسف العشاء أصبح جاهزاً...»

«ضعي البازيلاء في العلبة. سوف نستعملها مرة أخرى.»

كان ذلك لا يحتمل، فأقفلت الخط.

الروائح التي انبعثت من المطبخ كانت مسيلة للريق. أطفأت ميغان الغاز وهي ترتجف من الغضب وخيبة الأمل. فكرت في أن تحتسي الشراب، فيما كانت الدموع تتساقط على خدها. لكنها مسحت دموعها بانفعال، عندما سمعت طرقاً على الباب. لا بد أن أوسكار قد أتى. فتحت الباب بسرعة، فوجدت الأستاذ فان بلفيلد يحمل ميريدث بين يديه.

لم ينتظر أن تدعوه بل تجاوزها، ووضع ميريدث على الكنبة.

«وجدته عند آخر الطريق. ضربته دراجة فيما كنت ماراً. لا أظن أنه مجروح ولكن يمكن أن أتفحصه إذا أردت.»

نظر إليها برقة فتمنت لو أنه لم يرَ دموعها. «أرجوك أن تفعل، شكراً لإنقاذه. ظننت أنه بمأمن في الباحة. سأحضر منشفة صغيرة.»

أخذ الأستاذ وقته في معالجة ميريدث مما أعطاها الفرصة لتمسح دموعها وتصلح من هندامها من دون أن يشعر. كانت المرآة الوحيدة في البيت موجودة في الحمام. لذلك، اعتمدت على الحظ كي تبدو طبيعية بقدر الإمكان. على كل حال، لم تبدُ طبيعية تماماً، بل متعبة ومحمرّة حول أنفها الجميل. لم يعلق الأستاذ على الأمر، بل قال إن القط لا يعاني

من كسور بل من بعض الرضوض السيئة. ثم وضعه على الرقعة قرب النار.

«هل تتوقعين ضيفاً؟ آسف إذا عطلت عملك في المطبخ.»

«لا، لا يهم، لن يأتي أوسكار، هناك حفلة في المستشفى.» رجفت شفتها كفتاة صغيرة. «حضرت العشاء ولا يوجد أحد سواي لأكله. لذلك أنا آسفة...»

خلع الأستاذ معطفه قائلاً: «هل أنفع أنا؟ تبدو رائحة الطعام شهية وأنا جائع جداً.» وعندما ترددت أضاف: «لم أتناول طعام الغداء.»

«أصحيح؟ هل تود أن تبقى؟ ولكن أليس لديك بيت...؟»

«أجل، أجل، طبعاً لدي، إلا أنه لا يوجد أحد هناك الليلة.»

بدا مقنعاً جداً بقوله هذا فقالت: «حسناً، سيكون أمراً لطيفاً أن تبقى، هل ستكون سيارتك بمأمن في الخارج؟»

«أوصيت بعض الصبية بحراستها.»

«ألن يبردوا؟»

«إنهم يجلسون في الداخل.» ذهب إلى الطاولة وأخذ الشراب. «إذا كان لديك مفتاح فسأفتح هذه الزجاجة.»

ذهبت ميغان إلى الفرن، وأشعلته ثانية، وقدمت الحساء في الحال. «آسفة، لا يوجد أي شيء لأقدمه لك، لا شيري ولا غيره. فأنا لم أستقر بعد.»

«هذا الحساء لا ينقصه شيء. هل حضرته بنفسك؟»

«أجل، فأنا أجيد الطهي.»

لقد أسعدها كثيراً أنه أحب الحساء المعد بطريقة ممتازة مع التوست والجبنة، أكل الأستاذ أضلاع الخروف واحتسى الشراب بالشهية والاستمتاع نفسهما. ربما كانت هذه هي

المرة الأولى في حياته التي يشرب فيها بهذه الكثرة، من شراب يبلغ ثمن زجاجة منه، خمسة وعشرين بنساً. لقد وضع السعر على الزجاجة، وشك في أن لون الشراب كان السبب في شرائها له.

تصرف على سجيته، فاندهشت ميغان لكونه رفيقاً ممتعاً على هذا النحو. في الواقع، لم يتكلم كثيراً أو يرفع صوته عالياً، إلا أن ما قاله كان مثيراً جداً، ولا يمت بأية صلة إلى حياة المستشفى، إنه الآن إنسانٌ مختلفٌ عن ذاك الذي حدق فيها بعينيه الزرقاوين، عندما انكسر الصحن. اكتشفت فجأة أنها الآن تستمتع بوقتها. بعد الانتهاء من التهام أضلاع الخروف الشهية، أحضرت ميغان بسكوتاً وجبنة. وبما أنه لا يوجد مكان آخر للانتقال إليه، تناولا القهوة والعوامة بالجبنة إلى جانب الطاولة.

لم تكن واثقة، بعد تلك السهرة الممتعة عمّا تحدثا. لكنها كانت متأكدة من أنها لم تعرف شيئاً عن حياته الخاصة، إذ أنها لم تجرؤ على السؤال، وهو لم يقدم لها أية معلومات. صحيح أنه أخبرها أن لديه كلباً وقطة، إلا أنه أتى على ذكر ذلك عندما كان ينظر إلى ميريدث وهو يستلقي بكسل أمام النار بعد العشاء.

ولدهشتها ساعدها في غسيل الأواني قبل أن يشكرها على العشاء الشهي والسهرة اللطيفة. كانت ميغان ممتنّة لأنه لم يذكر أية كلمة عن أوسكار. عند انتهاء السهرة، غادر متجهاً إلى سيارته، فأعطى الصبية بعض المال، وانطلق وهو يرفع يده ليحييها.

لم يكن هناك من أمل لترى أوسكار في اليوم التالي، فالجناح كان ممتلئاً بكثير من الحالات، الأمر الذي أراحها

لأنها تحتاج إلى يوم أو إثنين كي تنسى خيبة أملها، بسبب تصرف أوسكار السخيف. وبالفعل لم تَرَه إلا بعد يومين بطريق عودتها من الغداء.

قال: «ميغان، أنا آسف بشأن تلك الليلة، كنت أعرف أنك ستتفهمين، ما رأيك بيومٍ عندي، فأنا حر في المساء، إلا إذا حصل أي طارىء.»

«لا، لدي عمل، وسأكون تعبة جداً حتى لفتح علبة من البازيلاء.» ثم قالت بابتسامة صفراء: «لا يمكنني التلكؤ أكثر، فهناك حالة تحتاج لعملية، إلى اللقاء.»

جلست ميغان في مكتبها تبحث عن دوام جيني في جدول العطل. «أرغب في الحصول على عطلة بعد ظهر غدٍ، هل تمانعين بالتغيير؟»

رحبت جيني بالإقتراح فعادت ميغان إلى طاولتها وهي تشعر بأنها ردت جزءاً بسيطاً على الأقل من إهانته لها، واعترفت لنفسها أن ذلك لم يكن لطيفاً منها، خصوصاً، وأنها طيبة القلب وحلوة المعشر. لكن أوسكار أساء إليها وجعلها تشعر بالإحباط. لم يتقابلا كثيراً منذ وقت، ولكن أليس صحيحاً أن البعد يلهب المشاعر؟ أم لا؟

بعد تلك الأمسية الجميلة لم تر الأستاذ، إلا أن ذلك كان طبيعياً، فهو نادراً ما يأتي إلى الجناح، وعندما كان يأتي، لم يكن ليضيع الوقت في أي حوار. إلا إذا كان متعلقاً بالعمل. سمعت ميغان صدفة من السيد برايت وهو يخبر ويل جنكنز، أن الأستاذ غادر إلى هولندة.

قال السيد برايت: «لن يعود قبل عدة أيام. أظن أنه يريد رؤية عائلته من وقتٍ لآخر.»

إذاً، هو متزوج، ولكن لدهشتها، التفكير بذلك جعلها تشعر وكأنها فقدت شيئاً.

انتهى يوم العطلة، وعادت إلى الجناح بطبيعته المشغولة دائماً. أمضت ميغان إحدى الأمسيات تتناول العشاء مع أوسكار في أحد المطاعم الهادئة قرب حديقة فيكتوريا. تمتعت كثيراً بتلك الأمسية، فقد كان أوسكار لطيفاً جداً إلى حد أنها شعرت بالأسف لأنها غيرت عطلتها في الأسبوع الماضي. وافقت ميغان بكل سرور على اقتراح أوسكار بالذهاب إلى بيتها في عطلة نهاية الأسبوع القادم.

قال أوسكار: «لا يمكنني الحصول على عطلة نهاية الأسبوع. الله يعلم كم أتوق لواحدة.»

«سيكون ذلك رائعاً. هل يمكننا أن نذهب يوم السبت ونبقى حتى مساء الأحد؟»

رافقها إلى الشقة وبقي حوالي عشر دقائق.

«إنها لا تعتبر شقة. أليس كذلك؟»

حاولت ميغان أن تعترض على تلك الملاحظة. كل شيء يبدو جميلاً، فقد وضعت الستائر الجديدة مع بعض الأرائك التي تتناسق معها، ووضعت بعض الأزهار الجميلة، بالإضافة إلى الكتب المرتبة على الرفوف. حتى ميريديث بدا جميلاً. ربما بالنسبة لرجلٍ، لا تتوافق هذه الشقة مع ما يُعرف بالبيت المريح والمناسب. مهما يكن من أمر، فهي سعيدة بها جداً. «على الأقل، إذا أردت أن آوي إلى الفراش باكراً يمكنني ذلك. في بيت الممرضات هناك دائماً الكثير من الضجة. أناس يدخلون ويخرجون وآخرون يلعبون بآلات التسجيل. لن تصدق كم هو هادئ هذا الشارع.»

ضحك أوسكار وعانقها. «إهتمي بنفسك فستتحولين إلى عانس عادية إذا لم تنتبهي.»

«هذا أمرٌ يمكن تسويته. يمكن أن نتزوج.» لم تعرف لماذا قالت ذلك إلا أنها ندمت على قولها عندما اكفهر وجهه.

«أمامنا متسعاً من الوقت لمناقشة ذلك، عندما أنتهي من هنا وأحصل على عمل آخر.» عانقها ثانيةً عندما رآها مرتبكة.

بعد أن تركها وحيدةً فرشت ميغان الكنبة، وأعدت فنجاناً من الشاي. ثم نظفت ميريديث الذي بدا سميناً ولطيفاً. فمنذ الحادثة التي وقعت له لم يعد يغادر باحة البيت. لعق الحليب الذي قدمته له وتمدد أمام النار. إلا أنه في اللحظة التي تطفىء فيها الضوء وتأوي إلى فراشها، سيتسلل إليه وينام طوال الليل عند طرف السرير.

لم تر الأستاذ ثانية إلا بعد عدة أيام. بدت متعبة، وغير مرتبة بعد ذلك اليوم المرهق، حين رأته واقفاً مع السيد برايت في المدخل منهمكين في إحدى المناقشات، رآها السيد برايت وحيّاها: «عمت مساءً أخت رودنر.» نظر إليها الأستاذ، إلا أنه بدا وكأنه لا يتذكر أين التقاها، فحياها تحيةً مبهمةً. تابعت طريقها منزعجة قليلاً. لقد تناول عشاءً شهياً عندما دعته، أو بالأحرى عندما دعا نفسه. صحيح أنها لم تتوقع أن تتوطد العلاقة بينهما، إذ أنه، على حد علمها، لم يكن ليوطد علاقته بأحد، ولكنها تستحق على الأقل تحيةً أحسن من تلك.

عبرت عن استيائها إلى ميريديث فيما كانت تتناول العشاء. قالت وهي تعد الطعام لميريديث: «هذا فظ جداً. لكن

ربما يشعر بالحنين إلى بيته، إذ أنه عاد لتوه من هولندة.»

كانت ميغان ستذهب وأوسكار إلى بيتها في عطلة نهاية الأسبوع. رأته صباح ذلك اليوم متحمساً جداً للذهاب. وقد أسعدها حماسه وأدهشها في آنٍ معاً، لأنها تعرف كم من الترتيبات عليهما أن يتخذا للحصول على أكثر من يوم عطلة في الوقت نفسه، اقترح أوسكار أن يغادرا مساء الجمعة فيصلان حوالي الساعة العاشرة، هذا إذا لم يكن وقتاً متأخراً بالنسبة لوالديها. وافقت ميغان على هذا الإقتراح بكل سرور، سيكون لديها متسع من الوقت غداً لتشتري سلة لميريدث، فقد توقف عن التجوال في الشارع، وإذا تركته بمفرده يمكن أن يشرد ثانيةً، الأمر الذي سيزعجها حتماً، لأنها أصبحت متعلقة به الآن، ثم أن هذه النزهة إلى الريف ستفيده كثيراً.

بدأ يوم الجمعة سيئاً. كانت تدخل المستشفى عندما رأت الأستاذ يخرج من سيارته. كانا قريبين كفايةً لتبادله تحية الصباح، إلا أنها كانت لا تزال منزعجة منه إلى حد أنها دخلت من الباب كما لو أنها لم تره. تبعها الأستاذ مبتسماً بلطف وهدوء. لم يكن الأستاذ يبتسم كثيراً، لذلك نظر إليه رئيس البوابين باندهاش، وقال لأحد عماله: «يبدو الأستاذ فان بلفيلد مختلفاً هذا الصباح.» ثم أضاف: «لا بد أن شيئاً هزّه.»

علمت ميغان أن الليلة السابقة كانت سيئة في الجناح، فقد وقعت احدى المريضات من على السرير. لا يعتبر هذا خطأ أحد، إلا أنه يجب إرسال تقرير عن الموضوع، واستدعاء طبيب لفحص السيدة. كانت بداية سيئة لليوم،

على الرغم من أن السيدة السمينة التي وقعت من السرير لم تصب بأي أذى. ميغان، التي كانت ترغب في أن تعرف كل شيء، كأي إنسانٍ ذي مسؤولية، وجدت أن أعصابها بخلاف العادة، متوترة جداً. وقد غضبت أكثر عندما تأخر السيد برايت نصف ساعةٍ عن موعده، مما اضطرها لإبقاء عشاء المرضى ساخناً فيما كان يقوم بجولته عليهم بكل بطء. قالت ميغان بتوتر ظاهر: «كان لا بد لرائحة السمك مع اللحم المشوي والجزر أن تذكرك بأن هناك مرضى بحاجةٍ إلى الأكل...»

قال أوسكار، إنه سيكون جاهزاً للرحيل عند الساعة السادسة، إلا أنها لاقت صعوبةً لكي تنهي عملها في وقته المعتاد. لم تذهب إلى العشاء، بل اكتفت بتناول ساندويش مع فنجان قهوة في مكتبها. استمرت في العمل طيلة بعد الظهر. لذلك، حين وصلت جيني، تمكنت من الذهاب مرتاحة الضمير. أسرعت ميغان إلى شقتها فغيرت ثيابها ووضعت ميريدث في السلة ثم حضّرت حقيبتها قبل أن يأتي أوسكار ليأخذها.

تحسن مزاجها حين رأت أوسكار، فقد بدا مرتاحاً وسعيداً لفكرة قضاء عطلة نهاية الأسبوع بعيداً عن المستشفى. وضع أوسكار القط في المقعد الخلفي، وحقيبتها في الصندوق، ثم جلس قربها وعانقها بسرعة وانطلقا.

«يجب أن نصل هناك قبل الساعة العاشرة. عندما نخرج من لندن، سنسلك الطريق السريع هذه المرة.» ثم استدار نحوها وقال: «إنها أمسيةٌ جميلة.»

وافقت ميغان شاعرةً بتحسن كبير: «هل هناك شيء مميز تود أن تفعله. هناك أماكن رائعة للنزهة إذا رغبت في ذلك...»

«لنرى ما سيطرأ، ربما كان لعائلتك بعض المشاريع. تبدين تعبة، هل كان يومك سيئاً؟»

هذا ما كان يعجبها فيه، فهو، دائماً يتذكر أنها تعمل مثله تماماً. «في الحقيقة، ليس سيئاً جداً، فقط بعض الأمور الصغيرة التي لم تجرِ على ما يرام. إلا أن كل شيءٍ عاد إلى طبيعته، عندما أنهيت عملي. على كل حال، جيني قادرة على ضبط الأمور.»

استمرا في الحديث لوقتٍ طويل، مما أراحهما من الملل الذي يصيب المسافرون وقت الإزدحام، إلا انهما حالما خرجا من الضواحي التزما الصمت. فكرت ميغان بأنه لا حاجة للكلام فهما يعرفان بعضهما جيداً، إنها تشعر بالراحة معه. وفي تلك اللحظة، لمعت فكرة في رأسها، ربما هي تشعر بكثير من الراحة معه، ولكن أليس هذا ما يجب أن تشعر به عندما تكون معه! أزعجتها هذه الفكرة كثيراً فعبرت عن أفكارها: «أوسكار، هل تشعر بالإثارة عندما أكون معك؟ لا تضحك، أنا فعلاً أريد أن أعرف.»

أصبحا الآن على الطريق السريع الخالي من ازدحام السير، فجاوبها أوسكار من دون أي شرود: «عزيزتي ميغان، بالطبع لن أضحك، أنا أفهم فعلاً ما تعنينه. إن شعوري نحوك، كيف سأعبر لك؟ عميق وصادق، إلا أنني لا أعتقد أنني من النوع الذي يثار بالمعنى الذي تقصدينه. على كل حال، أنا سعيد ومرتاح وأظن أننا سنستقر بشكلٍ

جيد معاً.» نظر إليها مبتسماً: «هل هذا يجيب على سؤالك؟»

كانت تود أن تجيبه بلا، إلا أنها قالت: «نعم.» ربما ليس هناك وجود لتلك الرومنسية التي نقرأ عنها في الكتب. حركت الخاتم في يدها وأقنعت نفسها بأنها سعيدة.

كان والدها ووالدتها وميلاني في انتظارهما، عندما وصلا. قطعا المسافة بوقتٍ قصير. فقد وصلا قبل الساعة العاشرة. لذلك جلسوا يتحدثون حول طاولة العشاء بارتياح، إذ أن اليوم التالي هو السبت. مما يعني أنه لا داعي للنوم باكراً، للذهاب إلى العمل صباحاً. شعرت ميغان التي كانت تجلس بقرب أوسكار بالسعادة والرضا لإنسجامه مع ميلاني، ابتسمت إلى أختها، فقد رعتها وحمتها منذ أن كانت طفلةً، إذ أنها كانت تحبها كثيراً. لقد كان أمراً مفرحاً بالفعل أن تراها تضحك وتتحدث مع أوسكار بكل انطلاقٍ وارتياح.

استيقظت ميغان باكراً، حسبما تعودت بسبب عملها في المستشفى. نهضت من السرير وسحبت الستائر. لم تكن الشمس ساطعةً، إلا أن السماء كانت صافيةً، والريف أخضر ومنعشاً. تنشقت الهواء العليل ثم تنهدت بصعوبة، لأنها رأت أوسكار وميلاني يغادران البيت من باب المطبخ. كانا يتحدثان بهدوءٍ وهما يتجهان نحو الحديقة، ثم إلى البوابة المؤدية إلى الغابة خلف البيت. عادت ميغان إلى السرير وفكرت بالأمر، ربما لم يستطع أوسكار النوم فقرر أن يتمشى باكراً، ولا بد أنه صادف ميلاني التي استيقظت باكراً لتحضير الشاي للجميع، لقد تكلم خلال العشاء عن مراقبة العصافير. لا بد أنه ذهب لذلك الغرض. ومن المؤكد أن

ميلاني عرضت عليه أن تريه أفضل الأمكنة لمراقبة العصافير.

استغرقت ميغان في النوم وهي تفكر بعدة احتمالات. ولم تستيقظ إلا بعد ساعتين، حين وجدت ميلاني جالسةً على حافة السرير تحمل كوباً من الشاي. جلست ميغان بشعرها الأسود المتدلي على كتفيها وسألت: «إلى أين كنت ذاهبة مع أوسكار؟»

«هل شاهدتنا؟ لما لم تنادي؟ لقد انتظرناك. كان أوسكار يريد أن يشاهد العصافير، أتذكرين؟ نزل فيما كنت في المطبخ. فقد استيقظت باكراً لأعد الشاي. أخذته إلى غابة نِبْ.» ثم نظرت إليها بقلق وأضافت: «ميغ، أنت لا تمانعين؟»

«عزيزتي، طبعاً لا. في الواقع هذا ما فكرت به تماماً. رفقة أوسكار مسلية، أليس كذلك؟»

«آه، أجل، فهو لا يهتم، لكوني لست ذكية ولا مسلية.»

«ومن يهتم؟»

«آه، جورج، عامل البلدية، والصبية في المزرعة والموظف الجديد في مكتب أبي.»

«وهل يقولون ذلك؟»

«ليس بالضبط، إلا أن ذلك ما يلمّحون إليه.»

وضعت ميغان ذراعيها حول شقيقتها وقالت: «عزيزتي، لا تأبهي بهم فأنت لطيفة كما أنت. أؤكد لك أن كل الرجال اللطفاء، الذين تحبين الإرتباط بأحدهم يفضلون فتيات مثلك.»

«آه، أتمنى ذلك من كل قلبي.»

وضعت ميلاني يدها بلطف على رأس ميريدث الذي تمدد

عند نهاية السرير ففتح عينيه وتثاءب. قالت ميغان: «يجب أن أنهض. أنظري إلى هذا الحيوان الجائع. هل الإفطار جاهز؟»

«بعد نصف ساعة. ماذا ستفعلين اليوم؟»

«سأصطحب أوسكار في جولة على القرية، ثم أساعد أمي وبوتر في الحديقة. على كل حال أوسكار يعمل بكدّ، ومن المؤكد أنه يفضل أن يكون حراً فيما يفعله.»

عندما نزلت ميغان، كانت أمها في المطبخ تعد البيض واللحم، وميلاني تحضر الخبز المحمص.

حملت ميغان القهوة إلى غرفة الطعام حيث كان أبوها وأوسكار. توقفت لتقبل رأس والدها وقدمت خدها لأوسكار. وضع ذراعيه حولها وقال: «استيقظت باكراً وذهبت لأشاهد العصافير. ميلاني كانت مستيقظة أيضاً، وقد كانت لطيفة جداً، فأخذتني إلى أفضل الأماكن التي يمكن الذهاب إليها. يجب أن أعترف بأن الريف رائع، بدأت أفكر أن أستقر في مكان قروي.» أضاف ضاحكاً عند رؤيته وجه ميلاني: «لكنني لن أفعل ذلك، فقد عملت جاهداً للحصول على عمل جيد في لندن، وعلى مركزٍ عالٍ في أحد المستشفيات التعليمية. ميغان تعرف ذلك، أليس كذلك حبيبتي؟»

«أجل، طبعاً، أنا أعرف ذلك. على كل حال، ستكون ناجحاً إلى حد أننا سنتمكن من شراء كوخ في الريف لتمضية عطلة نهاية الأسبوع.» هذا صحيح، فهي تعلم وتفهم أنه بذل جهداً كبيراً لينجح في مهنته، إلا أنه اتخذ قراره ذلك من دون أن يأخذ بعين الإعتبار رغبتها في العيش خارج لندن.

في الحقيقة كان أوسكار يستحق النجاح. فقد عمل بكدّ، وأثبت نفسه كطبيبٍ ناجح. راقبته ميغان وهو يلاطف ميلاني، فشعرت بعرفان الجميل لأن شقيقتها الخجولة كانت تكلمه بارتياح.

سألت أوسكار في طريق العودة إلى الريجنت مساء الأحد: «هل استمتعت بوقتك؟ ألم تضجر؟»

«لا أبداً، كانت عطلة رائعة، فأنا أحب عائلتك. أخوك فتى رائع.»

«أجل، هذا صحيح. وأنت تعجبه أيضاً، وكذلك ميلاني! لا شك، أنك لاحظت كم هي خجولة مع الذين لا تعرفهم، إلا أنك انسجمت معها جيداً.»

لم يجب. فظنت أنه منزعج من السير الخانق.

قال لها عندما وصلا إلى المستشفى: «ما رأيكِ بعطلةٍ أخرى عندما أستطيع الحصول على راحة؟»

«هذا رائع. سأذهب إلى هناك خلال أسبوعين، ولكنني لا أعتقد أن باستطاعتك الحصول على عطلة في هذا الوقت القصير.»

«لا أظن ذلك، ولكن يمكنني المحاولة في الأسبوع بعد المقبل.»

«أعلمني في وقتٍ قريب كي أتمكن من تغيير موعد عطلتي، فجيني لن تمانع. ولكن، ألا ينبغي الذهاب إلى بيتك لرؤية والديك؟»

«سأتدبر نصف يوم خلال الأسبوع.»

لم يسألها إذا كانت ترغب في الذهاب معه، ربما لأنه لاحظ أنها لم تتفق مع والدته.

كان صباح يوم الإثنين منهكاً، لوجود عدد من العمليات في اليوم التالي، مما يعني إجراء كل الفحوص العادية، وزيارة من طبيب المخدّر، ثم معاينات، وأخيراً زيارة قصيرة من السيد برايت بعد الظهر ليرفع من معنويات المرضى ويلقي نظرة على تقارير الأطباء. كان آخر المرضى الأربعة إمرأة نحيلة تعبة، أمضى السيد برايت وقتاً أطول من العادي في التحدث معها، محاولاً أن يهدئها قبل أن يتفحص أوراقها.

توقف السيد برايت عند تقرير المختبر السريري وقرأه ثانية: «هل قرأت هذا أيتها الأخت؟»

«أجل يا سيدي.»

«غريب، أرجوك، اذهبي إلى المختبر واسألي الأستاذ ڤان بلفيلد. سنحتاج إلى مواد...»

ذهبت ميغان إلى المختبر، وفتحت الباب. من المؤكد أن الأستاذ سيُزعج من الشك بإحد قراراته.

كان جالساً إلى مكتبه. ترى هل كان جالساً هناك طوال النهار، إذ لم يبدُ عليه أي نوع من الإرهاق. رفع رأسه حين طرقت الباب فسألها بأدب: «أجل، أيتها الأخت.»

«طلب مني السيد برايت أن أسألك، فحص الدم هذا، يقول إنه غريب.»

«غريب، لكنه صحيح، لقد تفحصته شخصياً. يمكنك أن تنقلي هذا إلى السيد برايت مع تحياتي.» أمسك قلمهُ وأضاف: «إذهبي الآن فأنا مشغول.»

إرتدّت على عقبيها فيما الكلمات الفظة تدق في أذنيها، إذهبي من هنا، ولكن من يظن نفسه؟

«أقفلي الباب جيداً عند خروجك وقولي للسيد برايت إني وجدت متبرعاً.»

أصبحت ميغان الهادئة تغلي من الغضب الآن، وقاحة لا تُحتمل، فتحت الباب وقالت بحدة: «أخبره بنفسك، يا سيدي.» أسرعت ميغان بالخروج تاركةً الباب مفتوحاً وراءها.

انصعقت فيما بعد لما قالته. بالطبع سيطردونها، لا بد أنهم سيتهموها بعدم الانصياع. من المؤكد أن أوسكار سيغضب منها لأنها فقدت أعصابها وتصرفت كفتاةٍ سخيفة. وتحزن عائلتها أيضاً لهذه الحادثة. لا بد أنهم سيعطونها جواب توصية مع قليل من المدح، فينتهي بها الأمر إلى أن تبحث عن عملٍ في أحد الأجنحة القديمة في مستشفيات ميدلاندز. ضحك السيد برايت حين رآها وقال: «هل أكلك الأستاذ ڤان بلفيلد حية؟»

«لا، لا، يا سيد برايت. طلب مني أن أعلمك بأنه يوافق على أنها فئة دم غريبة وأنه قد وجد متبرعاً.»

«إنسان طيب، لا أعرف ماذا كان المستشفى سيفعل من دونه.»

ربما المستشفى لا يستطيع الإستغناء عنه، أما هي فبلى، رتبت ميغان الأوراق التي كان السيد برايت قد بعثرها على السرير والخزانة، إلا أنها تسمرت حين سمعت صوت الأستاذ الهادىء، بلهجته الإنكليزية الممتازة: «أنا متأكد من أن الأخت رودنر بطبيعتها المهذبة قد أوصلت رسالتي.» ثم أضاف حين ضحك السيد برايت: «آمل أن تسامحيني على فظاظتي.»

خفق قلبها عند سماع تلك الكلمات، كانت تبحث عن ردٍ مناسب حين تابع: «ظننت أنه من الأفضل أن آتي بنفسي لأراك، هناك بعض الأشياء بحاجة لتوضيح.»

انشغلت ميغان بترتيب الأغطية فوق المريضة. لم يكن ضرورياً أن يعتذر إليها هكذا. الآن هي الملامة. على كل حال، يجب عليها أن تعتذر أيضاً، ولكن ليس لخوفها من أن يقدم شكوى ضدها. يا له من رجل متعب! كم تمنت لو أنها رأته يجلس على كرسيه والإبتسامة على شفتيه، عندما خرجت مسرعةً من مكتبه.

قررت ميغان في يوم عطلتها أن تعتذر إليه. فإذا كان يريد اتخاذ أي إجراء سيتم استدعاؤها إلى مكتب رئيسة الممرضات قبل الساعة التاسعة. بدأت تحضر الكلام الذي ستقوله وهي في طريقها إلى المستشفى، يجب أن يكون كلاماً محترماً ومعبراً عن أسفها في الوقت نفسه، ولكنها وجدت ذلك أمراً صعباً. كانت منهمكة في هذا الأمر جداً إلى حد أنها لم ترَ الأستاذ إلا بعد أن أصبحا على بعد خطوات. فقد خطفت كلماته الأولى أنفاسها: «آه، الأخت رودنر. كنت أنتظر اعتذارك.» بدا هادئاً ومرتاحاً. ففكرت بتوتر أنه كان أسهل عليها بكثير أن تكرهه لو أنه صرخ قليلاً أو حتى رفع صوته.

قالت بسرعة: «لم يكن لدي وقت. إنني أنوي أن أعتذر لك، ولكن ليس قبل غد، فأنا أنتظر لأرى إذا كنت سأستدعى إلى مكتب رئيسة الممرضات.»

«لماذا؟»

«حسناً، إذا قدمت شكوى لن تضيع الرئيسة وقتاً قبل أن

ترسل بطلبي. من المؤكد أني سأطرد، أو أخسر ثوب الأخوات، أو أي شيءٍ آخر.»

«عزيزتي الصغيرة، ليس لدي أية نية في تقديم شكوى ضدك. ولو كنتُ مكانك لقلت وفعلت الشيء نفسه. لذلك يمكنك أن تنسي هذه الحادثة وتعودي إلى العمل في الصباح بضمير مرتاح.»

ابتسم فجأةً، فبدا للحظةٍ وجيزة مختلفاً عن ذلك الرجل الفظ الصارم الذي تخيلته. «سيسعدني كثيراً أن تقبلي دعوتي إلى العشاء كبادرة حسن نية.»

«هذا لطفٌ منك، آسفة لأنني كنت فظة وشكراً لتسامحك في هذا الموضوع.»

«لطيف، لطيف، إنها كلمة إنكليزية قد تعني كل شيء ولا شيء. أنا لست لطيفاً كما تعلمين جيداً.» أفسح لها الطريق وقال: «عمت مساءً أخت رودنر.»

أكملت ميغان طريقها بارتباك إلا أنها لم تكن تعرف السبب.

كان أوسكار سيأتي إلى العشاء ذلك المساء، فعادت مسرعةً إلى البيت لتحضر نفسها للقائه. قال إنه سيأتي الساعة التاسعة، مما أعطاها الوقت الكافي. استحمت وارتدت فستان جيرسي رمادياً مع وشاح رمادي فاتح، ثم أطعمت القط وبدأت العمل. تتألف لائحة الطعام من أنواع مختلفة من الجبنة وخبز فرنسي محمص مع سلطة. أما الشراب فسيكون متنوعاً مع بعض زجاجات الجعة. بدت الغرفة مريحة بالمصابيح الجديدة التي تضفي ضوءاً زهرياً خافتاً على الأثاث الرخيص، خاصة الطاولة بغطائها

الجميل. فوجيء أوسكار قليلاً عندما دخل الشقة: «يجب أن أعترف بأن هذا المكان يبدو جميلاً على الرغم من أن الأثاث كالح، إني أتضور جوعاً...»

كان العشاء شهياً جداً، إلى حد أنه أكل معظمه حتى قبل أن يبدأ بالخبز والجبنة والتفاح. حضرت ميغان القهوة. فجلسا يحدثها عن يومها ولكنه لم يقل شيئاً عن العشاء، إلى أن أوشك على الرحيل: «كانت وجبة جيدة. ميغان، لم أكن أعرف أنك تجيدين الطهي، هل علمتك ميلاني؟ غالباً ما أتذكر تلك العوامة...»

«أجل، إنها تصنع عوامةً رائعةً، فهي طاهية ماهرة.»

عانقها أوسكار قبل أن يذهب ولكن ليس بالطريقة التي ترغبها. كانت تود أن يحتضنها ويقول لها إنها طاهية ماهرة، وإنه يحبها أكثر من أي شيءٍ في العالم. هناك خطأ ما، إلا أنها لا تدري ما هو، وحين سألته عن الأمر قال: «هل من خطب؟ ما الذي جعلك تعتقدين ذلك؟ طبعاً ليس هناك أي شيء. لا بد أني تعب. لا تبالي. لقد تدبرت عطلة نهاية الأسبوع، هل غيرت عطلتك؟»

«على حد علمي، أجل.» بعد أن ذهب أوسكار، استلقت ميغان على السرير تفكر بيومها التعس. هناك شيئاً لم يكن على ما يرام وتمنت لو تبكي، إلا أنه لم يكن هناك شيء لتبكي عليه. عادت إلى العمل يوم الأربعاء. وبما أنها تبادلت عطلة نهاية الأسبوع مع جيني، لم يعد يحق لها بعطلة هذا الأسبوع. ذكرت ميغان نفسها كما تفعل عند نهاية كل يوم مرهق، إنها ستذهب مع أوسكار إلى بيتها في الأسبوع المقبل. لم ترَ أوسكار بعد أن تعشيا معاً إلا قليلاً، فقالت

لميريدث قبل أن تذهب إلى العمل: «غداً سيعود كل شيء إلى طبيعته.»

لم يكن ذلك صحيحاً. فقد أخبرتها إحدى الأخوات بعد الظهر عن وجود الكثير من حالات الحمى في مستشفى سانت باتريكس الذي يتعاون في هذه الحالات مع الريجنت مما يعني انشغال جناحها لأسبوعٍ آخر، ولم يكن أمامها أي خيارات.

ذهبت بعد الدوام، في ذلك اليوم، إلى البواب لتسأله إذا كانت تستطيع أن ترى أوسكار عندما يأتي. وعندما أتى أخبرته على المدخل عدم استطاعتها الحصول على عطلة.

«يا للحظ السيء. لا أستطيع أن أغير موعد عطلتي، فذلك يعني إعادة ترتيب كل الجدول. يمكنني أن أذهب بمفردي إلى بيتك إذا وافقوا على أن يستضيفوني.» كتمت ميغان شعوراً بالخيبة وحسدته على العطلة التي كان يجب أن يمضياها معاً.

«بالطبع، سيرحبون بك كثيراً. سأتصل بوالدتي.»

«رائع، يجب أن أذهب، حبيبتي. آسف لعدم استطاعتنا قضاء العطلة معاً.»

راقبته ميغان يذهب. بدا فرحاً فشعرت بغضبٍ لم تستطع تفسيره.

الفصل الثالث

إتصلت ميغان بوالدتها بعد العشاء. قالت السيدة رودنر: «حبيبتي، يا للأسف، كنا نتوق لرؤيتك، وأوسكار طبعاً. هل يريد فعلاً المجيء؟ أكيد، ستحصلين على إجازة في عطلة نهاية الأسبوع، مهما كان جناحك مشغولاً، وهكذا تستطيعان أن تتناولا العشاء، أو حتى أن تقضيا وقتاً هادئاً في الشقة.»

«أجل، ولكنه يبدو متحمساً جداً لهذه العطلة، وهو ليس مضطراً للبقاء لمجرد أنني لا أستطيع الذهاب. أمي أريده أن يذهب فهو يحب أن يكون معكم جميعاً.»

«عزيزتي، سنسعد باستضافته. هل تستطيعين أن تدبري يوم عطلة قريباً وتأتي إلى البيت؟ لا داعي لإخبارنا، تعالي حالما تستطيعين.»

«يحق لي بعد هذه المناوبة يا أمي أن أحصل على يومين وسأرى ما يمكنني أن أفعل، ربما في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة.»

أقفلت ميغان الخط وهي تعيد في ذهنها ترتيب أيام العطل. لو أن جيني أخذت إجازتها قبيل انتهاء المناوبة، لما اضطرت لأن تعمل في عطلة نهاية الأسبوع.

في البيت، وضعت والدتها السماعة، وقالت للسيد رودنر المنهمك في قراءة الجريدة: «جورج، إن أوسكار يزمع المجيء بمفرده، وميغان لديها دواماً إضافياً أو ما شابه

ذلك. ألا تعتقد أنه كان عليه البقاء معها؟ تستطيع أن تأخذ إجازة حتى عندما يكونان مشغولين، وعند ذلك يمكنهما الخروج معاً، جورج، هل تسمعني؟» قالت ثم أردفت: «هل تظن... هل لاحظت انسجام ميلاني وأوسكار؟ أنا غير مرتاحة لهذا الوضع، أتمنى أن يتزوج ميغان وأوسكار قريباً وهما لا يزالان...»

توقفت. فقال زوجها بهدوء: «عاشقين يا عزيزتي؟ سيكون ذلك خطأً، أليس كذلك؟ أجل، لاحظتُ ميلاني وأوسكار، هذه الأشياء تحصل ولا نستطيع أن نفعل شيئاً حيالها.» نظر إلى جريدته وأضاف: «الصبر يا عزيزتي، دعي الأشياء تأخذ مجراها الطبيعي.»

حدقت به السيدة رودنر وقالت: «يا للرجال! وماذا بشأن ابنتنا ميغ؟» ثم استطردت: «ميغ في الثامنة والعشرين...»

«أعرف ذلك، وهي أيضاً فتاةٌ جميلة ولطيفة. وستجد يوماً ما الرجل الذي يستحقها. وكما قلت، الصبر.»

لم تحظَ ميغان بوقتٍ، حتى للتأسف على عطلة نهاية الأسبوع. كان الجناح حاشداً بحالات الأسبوع الماضي، مما اضطرها لأن تضع أسرَّة في الردهات وإرسال المعافين للنوم في أجنحة أخرى. قالت لجيني: «لا بد أن الجميع مصممون على ارتكاب حوادث في عطلة هذا الأسبوع.» إرتطمت ميغان بالأستاذ وهي في طريق عودتها بعد عشاء يوم الأحد. غيرت اتجاهها بخطى سريعة إلا أنه سد طريقها قائلاً: «أيتها الأخت، عليك أن تنظري إلى أين أنت ذاهبة.»

«آسفة سيدي، ولكننا مشغولون.»

«ولكنها عطلتك، أليس كذلك؟»

قالت متأهبةً لمتابعة طريقها: «اضطررت للتغيير.»

«خسارة، فالسيد فيلدنغ كان سيأخذ عطلة، أليس كذلك؟»

تعجبت ميغان من اهتمامه. «أجل.»

«سيمضيها في منزلك؟»

«أجل.» إلا أن شيئاً في صوته الهادىء جعلها تضيف: «في الحقيقة إنه هناك، أعني أنه لا يحظى بكثيرٍ من العطل وعائلتي تحبه...»

«آه، أجل، بالطبع. لا تدعيني أؤخرك.»

أخيراً، انتهى هذا اليوم الطويل. وعادت إلى بيتها، حيث تناولت عشاءً سريعاً واستعدت للذهاب إلى السرير. وحين اتصل أوسكار. بدا فرحاً جداً فسألته: «ماذا فعلت؟»

«لا شيء مهماً. تمشينا قليلاً وذهبنا إلى وينغ لزيارة إحدى الحدائق لم أعد أنكر اسمها. ثم تغدينا في إحدى الحانات وعدنا في الوقت المناسب لتناول الشاي. هل كنت مشغولة؟»

«تقريباً، أنا سعيدة لقضائك وقتاً ممتعاً.»

أرادت أن تسأله إذا ذهب مع العائلة كلها أم مع ميلاني فقط ، هي لا تمانع بالطبع، ولكن من اللياقة أن يخبرها. لكنه لم يخبرها، بل مدح طهي والدتها فقط، واقترح أن يلتقيا حول شراب، ثم تمنى لها ليلة سعيدة. لم يذكر ميلاني قط. تمددت على السرير وهي تفكر قلقة بهذا الشأن. لقد بديا منسجمين مع بعضهما البعض، ولم ينفرا من بعضهما على الأقل. فهل يمكن أن تكون ميلاني مريضة؟ أقلقتها هذه

الفكرة جداً لدرجة أنها رفعت سماعة الهاتف واتصلت بوالدتها.

بدا صوت والدتها دافئاً: «عزيزتي، اتصلت بك مرتين ولكنك لم تكوني موجودة. هل كنت مشغولة؟ هل اتصل بك أوسكار؟»

«إتصل بي منذ وقتٍ قصير. لقد أمضى وقتاً رائعاً وأحبّ طهيك. أمي، هل ميلاني مريضة؟»

«يا إلهي، لا، ما الذي جعلك تعتقدين ذلك؟»

«في الحقيقة لم يذكرها أوسكار قط، لم يتجادلا، أليس كذلك؟ فرحتُ كثيراً لأنه أعجبها، ولكن تعرفين كيف تتقوقع على نفسها عندما تظن أنها لا تعجب أحداً.»

«حبيبتي، إنها بخير، وأنا متأكدة أنها استمتعت بعطلة نهاية الأسبوع شأننا جميعاً. أظن أن أوسكار كان لديه الكثير ليخبرك إياه، فنسي أن يذكرها.»

«آه، حسناً إذن. كان غباءً مني أن أقلق. يمكنني أن آتي إلى المنزل بعد يوم الأربعاء، إذ سيكون لدي إجازة لمدة يوم أو إثنين.»

«ميغ، سيكون ذلك رائعاً. تصبحين على خير يا عزيزتي.»

«تصبحين على خير.» أقفلت الخط وعادت إلى السرير حيث التجأ ميريدث لأن الطقس كان قد أصبح بارداً.

خف ضغط العمل بعد يوم الأحد. أزالت ميغان الأسرّة من وسط الجناح بعد تسريح الكثير من المرضى، وأعطت جيني، وإحدى الممرضات المتمرنات عطلة يوم الثلاثاء،

فقد كان لديها فريق ممرضات يعمل بدوام كامل، وسيدات متزوجات مستعدات للعمل ساعات إضافية في غياب جيني، كما أنها ألغت أوقات فراغها، عالمةً أنها ستأخذ يومي إجازة عندما تعود جيني.

أخذت عطلتها مساء الجمعة. اتصل أوسكار بها هاتفياً، في الجناح، واقترح أن يلتقيا لنصف ساعة بعد الدوام. «في الحقيقة لا يمكنني ترك المستشفى ولكن سأمر بمقهى بوت أندفيتز حيث يمكننا أن نأخذ مرطباً.»

لن يكون حراً إلا بعد الساعة السادسة، فعادت إلى الشقة حيث استحمت وارتدت تنورة وبلوزة. ثم أطعمت ميريدث وعادت إلى المستشفى لتنتظر أوسكار. كانت تكره الذهاب إلى الحانات بمفردها، ولكن فيما هي تنتظر مجيئه، تجولت ميغان في بهو المبنى. كان مكاناً كئيباً بسقفه العالي وأرضه الرخامية الواسعة، وبعض اللوحات الزيتية الضخمة لرجالٍ مهمين، معلقة على الجدران. إنها صور أطباء موتى، كانت تبدو عليهم الصرامة والحزم والذكاء. حدقت ميغان بصورة أحد مدراء المستشفى السابقين، يقف إلى جانب طاولةٍ ويضع يده على كتاب، ومقطباً بوجه كل أولئك الذين كانوا أمامه.

«ربما كان زوجاً وأباً صالحاً.»

«تبدين غير أكيدة من ذلك، أخت رودنر؟»

كان الأستاذ قد اقترب منها بهدوءٍ، مما جعلها تقفز وتستدير في آنٍ معاً حين تكلم. «مساء الخير سيدي. نعم هذا صحيح. أظن أنه كان ذا طبع سيء.»

«هل هكذا تمضين عطلتك؟»

«طبعاً لا. إنني أنتظر أوسكار، وليس لديه سوى نصف ساعة.»

«ستذهبين إلى بيتك غداً؟»

أجابت ميغان باستغراب: «أجل، كيف عرفت؟»

أجاب مبتسماً: «من السيد برايت. أنا ذاهب إلى أوكسفورد غداً. هل الثامنة والنصف يناسبك؟ سآتي إلى شقتك؟»

رددت ميغان وأبقت فمها الجميل مفتوحاً: «أيناسبني؟ أتأتي إلى الشقة؟»

قال الأستاذ بحزم: «ألم اتكلم بوضوح؟ سأوصلك بطريقي.»

«إنه للطف منك فعلاً، ولكنني كنت سأذهب بمفردي...»

تجاهل ذلك وقال: «سألتك إذا كانت الثامنة والنصف تلائمك.» لاحظت أنه لن يقبل بلا، ثم أن فكرة الذهاب بالرولس رويس بدت مغرية. «سآخذ ميريدث معي.»

«أعرف ذلك، إذن؟»

«شكراً، أود أن تقلني، إذا لم يكن ذلك خارج مسارك. ساكون جاهزة.»

«حسن. ليلة سعيدة أخت رودنر.»

ذهب كما أتى بهدوء، وبعد بضع دقائق، وصل أوسكار. بعد التحية الموجزة قالت: «أوسكار.»

«تريدين أن تعرفي عن عطلة نهاية الأسبوع؟ لنذهب إلى الحانة، لا نستطيع التحدث هنا.»

ذهبا إلى بوت أندفيتز حيث انضما إلى اصدقائهما الجالسين إلى المقصف. «ماذا سنطلب؟ تونيك مع كثيرٍ

من الثلج والليمون. هل تريدين شراباً أيضاً؟»

هزت رأسها بالنفي، وراقبته وهو يذهب إلى النادل. بدا مختلفاً. في العادة، يكون هادئاً بعد يوم عملٍ طويل، ولكنها الآن لم تكن متأكدة كيف هو الآن. متحمسّ؟ سعيدٌ؟ ترى هل افتقدها كثيراً؟ إبتسمت للفكرة وعندما عاد قالت: «حسناً، أخبرني الآن عن عطلة نهاية الأسبوع.»

إسترسل أوسكار بكثيرٍ من التفاصيل المفترض أن ترضيها، ولكنها لسببٍ ما شعرت أن هناك شيئاً ليس على ما يرام. فعلى الرغم من سعادته الواضحة في حديثه، بدا قلقاً وكانه يخشى أن يقول شيئاً لا تعرفه، كما أنه لم يعطها فرصةً لطرح الأسئلة. وعندما انتهيا من تناول الشراب، قال إنه ينبغي عليه أن يعود إلى الريجنت.

«قلت نصف ساعة. يجب أن أكون مثالاً جيداً للموظفين.»

وقفت بجانبه واقترحت: «يجب أن تأخذ عطلة في أقرب وقت ممكن.»

«عزيزتي، لا أظن ذلك، فإذا حصلت على يوم عطلة، سأذهب إلى البيت.»

«أجل بالطبع. سننتظر لبعض الوقت. سأذهب إلى البيت غداً. كنت ذاهبة بمفردي...»

«لمَ لا. يجب أن أذهب بسرعة الطيران.» لثمها على خدها وأضاف: «بلغي حبي للجميع.»

عادت ميغان إلى شقتها حيث أعدت لنفسها العشاء ولميريدث، ثم وضبت حقيبتها وسلة القط. وخاطبت ميردث: «ستذهب برولس رويس، لذا إنتبه لتصرفاتك.»

هلّ الصباح الربيعي المنعش. إستيقظت ميغان باكراً

لتتناول الإفطار وارتدت ثياباً جديدة لم ترتديها من قبل. سترة رمادية قصيرة مع تنورة طويلة موشحة بالرمادي والأزرق والأخضر وكانت قد دفعت ثمناً لها أكثر مما كانت تنوي، ولكنها تلائمها تماماً. على كل حال، كما قالت لميريدث: «إنه الربيع، وإذا لم أرتديها الآن، فلا حاجة لي بها بعد ذلك.»

ثم رددت لنفسها بصمت، إذا لم ترتديها الآن لن يراها الأستاذ، ولم تعرف لماذا تهتم بذلك، الآن.

وصل الأستاذ في الثامنة والنصف تماماً. لم يضيع وقتاً، بل وضع ميريدث في المقعد الخلفي، والحقيبة في الصندوق، ثم انطلق وكأنه نادمٌ على ما هو بصدده. شعرت بشيءٍ من الحرج والإرتباك. فقد كان مركزاً نظره على الطريق محاولاً الخروج من المدينة بأسرع وقتٍ ممكن ولم تجد شيئاً لتقوله. مرت العشر دقائق الأولى بصمت. أخيراً قالت: «إنه صباح لطيف.» عندئذٍ تذكرت أنه لا وجود لهذه الكلمة في قاموسه.

ولكنها فوجئت عندما قال بصوتٍ ودود: «إنه صباح رائع. كم ستمكثين في البيت؟ هل يمكن أن أناديك ميغان؟»

«لدي عطلة نهاية الأسبوع، أرجوك، نادني ميغان إذا أردت.»

«شكراً. سأعود إلى الريجنت مساء الأحد. سأمر بك بعيد السادسة.»

«هذا لطفٌ منك، ولكن عليك أن تكمل طريقك...»

«إنه على بعد عدة أميال. عائلتك تتوقعك هذا الصباح. أظن أننا سنصل أبكر بقليلٍ مما لو أتيتِ بمفردك.»

«في الحقيقة الرولز أسرع من سيارتي الصغيرة. إنها مريحة جداً، أليس كذلك؟ وكبيرة جداً أيضاً.» نظرت بحنان إلى وجهه وأضافت بجدية: «أنتِ بحاجة لسيارة كبيرة، أليس كذلك؟»

ضحك عالياً وقال: «بالطبع.»

كانت فرصة لمعرفة المزيد عنه فسألت: «هل تقودها عندما تذهب إلى هولندة؟»

لم تكن تنظر إليه، لذا لم ترَ ابتسامته الخفيفة. «آه، أجل، أنا بحاجة لها هناك.»

سألت بجرأةٍ: «لعائلتك.»

«لعائلتي؟» منعها شيءٌ في صوته من طرح أي سؤالٍ آخر. لا حاجة لها في ذلك فيمكنها أن تتخيل حياته. متزوجٌ وله زوجة توازيه جمالاً وأناقة. بالطبع لهما أولاد، ربما ثلاثة أو أربعة. خسارة أنها لا تعرف أين بيته، ولكن يمكنها أن تتخيل ذلك أيضاً.

«أنتِ صامتة.» إحمرت خجلاً وكأن العالم كله سمع أفكارها.

قالت بسرعةٍ غير مهتمة بمحتوى حديثها: «لا أجد شيئاً ممتعاً ومسلياً أستطيع أن أتحدث عنه، ولا أظنك تريدني أن أثرثر...»

«إني مرتاح لأنك تفهمينني جيداً.» كان قد ترك الطريق العام وسلك طريقاً ريفياً من غير أن ينظر إلى علامات الإرشاد. لا بد أنه درس جيداً إحدى الخرائط، إذ أنه لم يسألها عن الطريق قط. عندما وصلا الطريق الضيقة المؤدية إلى القرية أدار سيارته الضخمة من دون أي تردد.

«هل أتيت إلى هنا من قبل؟»

«لا. لماذا تسألين؟»

«حسناً، يبدو أنك تعرف الطريق جيداً. إنها معقدة قليلاً عندما تترك الطريق العام.»

«لدي خريطة.»

قاد الرولز عبر القرية بسهولة إلى بوابة بيتها ثم خرج ليفتح لها الباب. وقبل أن تقول أي شيء فتحت أمها الباب وسارت باتجاههما.

«عزيزتي، هذا رائع لقد وصلت في وقت مبكر.»

نظرت إلى الأستاذ مبتسمة وفي عينيها نظرة تساؤل وقالت ميغان: «أمي، أقدم لك الأستاذ ڤان بلفيلد. بكل لطف عرض علي أن يقلني وهو في طريقه إلى أوكسفورد.»

صافحته السيدة رودنر: «هذا لطف منك. تفضل وخذ فنجان قهوة.»

إبتسم لها الأستاذ قائلاً: «شكراً سيدة رودنر. ولكن يجب أن أكون في أوكسفورد في وقتٍ قصير. أراك الساعة السادسة يوم الأحد.» ذكرها بالموعد فيما كان يناولها الحقيبة وميريدث وعاد إلى السيارة.

راقباه يذهب ثم قالت السيدة رودنر: «يا له من رجلٍ رائع. إنه ضخم، أليس كذلك؟ وليس ثرثاراً.»

«رائع، يا إلهي. أمي، الممرضات يهربن منه، من على بعد ميل...»

«إنه لا يسيء لهن؟»

«لا، لا، لا شيء من هذا القبيل أظن أنهن يخشينه. فكما

ترين إنه لا يتكلم كثيراً، حتى عندما يغضب من شيء. فهو لا يتحمل الإهمال أو النسيان.»

تجولا في البيت، وهي تحمل سلة ميريدث الذي كان يلهث بتوتر من خلال نافذته الصغيرة. سألت السيدة رودنر: «أنت لا تخافينه.»

«يا إلهي، أنا لا. في الحقيقة كنت وقحة معه مرة أو مرتين. إنه على صواب دائماً...»

«كم هذا مزعج يا عزيزتي، ولكن الرجال هم دائماً كذلك. لنشرب فنجان قهوة. اضطر والدك للذهاب إلى التام ولكنه سيعود للغداء. عزيزتي، أنا سعيدة لبقائك حتى مساء الأحد. هل تعتقدين أن الأستاذ سيفضل تناول القهوة أم الشاي عندما يأتي لإصطحابك؟»

«قد يتناول شيئاً ولكنني لا أعتقد ذلك. فنحن لا نختلط كثيراً.»

«إنه رجل ضخم.»

«أجل، أين ميلاني؟»

إنه دورها في ترتيب الأزهار في الكنيسة. ستعود حالاً.»

جلستا وجهاً لوجه في المطبخ، فقالت ميغان: «أوسكار استمتع بعطلة نهاية الأسبوع كثيراً.»

«إنه ينسجم في هذا المكان كثيراً ثم أنه شابّ من السهل جداً ارضاؤه. خسارة أنك لم تأتِ.» نظرت إلى ابنتها الجميلة وأضافت: «تبدين شاحبةً يا عزيزتي، أكنت تعملين كثيراً؟»

«أجل، ولكن لدي الآن يومان كاملان للراحة. أفكر بأخذ

إجازة لمدة أسبوعين في حزيران. هل ستسافرين مع أبي. يمكن أن أذهب معكما.»

«ألا يمكن لأوسكار أن يأخذ إجازة أيضاً، ثم ألا تعتقدين أن عليكما زيارة أهله؟»

«قال لي إنه من المستحيل أن يأخذ إجازة لعدة أشهر، ربما بسبب عطلة نهاية الأسبوع الغريبة تلك.» أخذت قطعة من قالب الكعك الذي كانت قد وضعته أمها على الطاولة وقضمتها وتابعت: «على كل حال، لا أظن أن السيدة فيلدنغ ستدعوني، إلا إذا اضطرت لذلك. فهي لا تحبني، وأنا لا أحبها. أظن أنه من الأفضل أن نبقى بعيدين عن بعضنا البعض ونلتقي عندما تدعو الحاجة إلى ذلك فقط.»

«عزيزتي، لا أظن...» توقفت عن الكلام عندما دخلت ميلاني التي سلمت على ميغان وجلست بقربها. «قالوا في الكنيسة أنهم رأوك تستقلين رولز رويس في القرية. هل هذا صحيح؟»

«أجل، أوصلني أستاذ في المختبر كان ذاهباً إلى أوكسفورد فأقلني بطريقه.»

«هل هو لطيف؟ شاب؟ وسيم؟»

«حسناً، لا أظن أنه سيعجبك، ليس شاباً. ولست أدري... أظن أنه في الأربعين. أجل إنه وسيم ومتحفظ.»

قالت والدتها: «عيناه زرقاوان وعنده لكنة خفيفة لأنه هولندي، كما أنه أضخم رجل رأيته في حياتي.»

ضحكت الفتاتان وقالت ميغان: «أمي، لم أعرف أنك شديدة الملاحظة هكذا.»

«يبدو مثيراً للإهتمام. خسارة أن أوسكار لم يأتِ معك.»

«لا أمل في ذلك لوقت طويل. سيفعل ما بوسعه من أجل أن يأخذ إجازة حتى ولو ليوم واحد، وذلك يتوقف على حالة الأجنحة. لقد استمتعت بعطلة نهاية الأسبوع، أليس كذلك؟»

«تماماً. إصطحبته إلى تلك الحدائق قرب وينغ، الدفلى كانت خلابة، وقد تناولنا الغداء في المقهى هناك.» أشرق وجه ميلاني الجميل وهي تسرد تفاصيل النزهة.

«أنت تنسجمين مع أوسكار، فهو يعجبك، أليس كذلك؟»

«آه، أجل، ميغ أنت لا تمانعين؟»

«أمانع؟ طبعاً لا. كنت سأمانع كثيراً لو أنكما لم تتفقا منذ اللحظة الأولى، فأوسكار يحظى بقليل من الوقت ليستمتع بنفسه، بعيداً عن العمل.»

قالت السيدة رودنر: «بما أنه لديك شقة الآن فسيجد مكاناً للذهاب إليه لمدة ساعة.» بدت السيدة رودنر مرتاحة، إلا أنها لم تكن تشعر بذلك الإرتياح قط، فقد نظرت بقلق إلى ابنتيها الجاهلتين تماماً بما يجري لهما، ولكن لا مجال لإخبارهما، سيكتشفان الأمر بنفسيهما، ولكنهما ستتأذيان كثيراً بسبب تعلقهما الشديد ببعضهما البعض.»

وقفت السيدة رودنر وقالت: «سأحضّر فطيرة الفطر. هلا قَطَفت لي إحداكما بعضاً منه، فهناك الكثير في الحديقة. سيتمتع ميريدث بالذهاب معكما، أيضاً.»

جاهلتان بما يجول في خاطرها، خرجت الفتاتان من المطبخ يتبعهما القط ميريدث. قطفتا الفطر، وجلستا على عجلة عربة يد قديمة لتأكلا بعضاً من الفجل الذي كانتا قد قطفتاه أيضاً.

قالت ميلاني: «لقد أخرجوا الأحصنة من مزرعة كوب.

ويوجد فطر في الحقل السفلي، وقد قال السيد كوب إن باستطاعتي أن أقطف ما أريد.»

«لا يوجد الكثير منه في هذا الوقت من السنة، ولكن يمكننا الذهاب لإلقاء نظرة غداً، قبل الإفطار. هل سنذهب إلى الكنيسة في الصباح؟»

«آه، أجل. جعلت أوسكار يذهب.» ضحكت ميلاني واضافت: «قال إنه لم يذهب إلى الكنيسة منذ وقتٍ طويل ولكنه ذهب ليرضيني.»

«هذا حسن. الأفضل أن نأخذ الفطر إلى أمي، وإلا لن نحظى بفطيرة على الغداء.»

لم تضيع ميغان لحظةً من عطلتها. كان الطقس ربيعياً، ودافئاً، وقد امضته في التجول في الحديقة، تشذب، وتزرع، وتأكل وجبات أمها اللذيذة. كان لديها الوقت للتفكير أيضاً. فقد كان سهلاً عليها التفكير بوضوح أكثر وهي بعيدة عن المستشفى. أصبحت الشكوك المبهمة التي كانت تقلقها غير مهمة، كما أن التغير الكبير الذي طرأ على تصرفات أوسكار تجاهها ليس إلا اختلاقاً من مخيلتها. وهكذا حددت مشاعرها في مساء الأحد، فاقتنعت نفسها أنها تخيلت أشياء لا أساس لها من الصحة بسبب الإرهاق. أكدت لميريدث بارتياح: «هذا هراء.» وهكذا تناست أن أوسكار لم يتصل بها طوال العطلة. صحيح أنه ليس هناك سبب يدعوه لذلك، ولكنه عوّدها على الإتصال بها عندما كانت تأتي إلى بيتها بمفردها.

جهزت ميغان نفسها ووضبت سلة ميريدث في الساعة السادسة، لعلمها بأن الأستاذ كان يحب الدقة في المواعيد.

كانوا جميعاً في غرفة الاستقبال عندما سمعوا بوق السيارة. وقفت السيدة رودنر وقالت: «سأذهب.» خرجت من الغرفة لتعود بعد قليلٍ برفقة الأستاذ. من يراه الآن يعتقد أنه رجلٌ لطيفٌ ومتواضعٌ لا يتفوه إلا بألطف الكلمات وأرقها. صافح والدها وحيّاها، ثم سلم على ميلاني بلطف مبتسماً برقة، فردت له الإبتسامة. «سمعت الكثير عنك من ميغان. لا بد أنك فرحة لوجودها في البيت حتى ولو لوقتٍ قصيرٍ، خاصةً وأن الطقس كان رائعاً.»

إندهشت ميغان لأن أختها الخجولة جاوبته بإنطلاق: «أتمنى لو تقيم في البيت دائماً. ذهبنا لقطف الفطر قبل الإفطار.»

«الصباح أجمل فترات اليوم. نتمنى أن يكون الطقس جميلاً عندما تأتي ميغان ثانية.»

بعد خمس دقائق من التحدث مع والدها ووالدتها، سألها إذا كانت جاهزة. حمل سلة ميريدث واتجها إلى السيارة. فتح لها باب السيارة ممعناً بالنظر إليها، إلا أنه لم يكلمها. فكرت ميغان التي لم تلحظ نظرته أنه لم يكن هناك داعٍ لارتداء ثوبها الجديد ثانية. شعرت بالذنب لاهتمامها بأفكار الأستاذ وهي الفتاة المخطوبة، فاحمرت خجلاً لدرجة أن رفيقها نظر إليها بإعجابٍ قبل أن يدير السيارة ويلوح إلى أهلها مودعاً. لوحت ميغان أيضاً وفي نفسها مشاعر مختلفة، أسفها لترك البيت ثانيةً، ومستمتعة برفقة الأستاذ، وتوقٌ مفاجئ لرؤية أوسكار.

دخلت ميلاني البيت، وبقي السيد والسيدة رودنر في الحديقة. قالت السيدة رودنر برضى شديد: «إنه يحبها.»

«صحيح؟ وهل أخبرك بذلك؟»

«طبعاً لا. لن يخبر أحداً، خاصة ميغ، قبل أن يصبح جاهزاً.»

«وكيف تعرفين ذلك، عزيزتي؟»

«حتى أنه لم ينظر إليها عندما دخل، أومأ برأسه فقط، ولكن ألم تلاحظ كيف حدق فيها عندما استقلت السيارة؟»

«في الحقيقة يا عزيزتي لا، لم ألاحظ ذلك. ولنفترض أن ذلك صحيح، فماذا عن أوسكار؟»

«أغرم بميلاني منذ النظرة الأولى، وهي أيضاً. ميغ لا تعرف ذلك بعد، ولكنها تشعر أن هناك شيئاً ليس على ما يرام، لقد أخبرتك...»

«أجل عزيزتي، وقد اقترحت أن تصبري.»

«حسناً، إنني صابرة، ولكنني لا أريد أن تتأذى ميغ. لا أظن أنها مغرمة بأوسكار بعمق، ولكن مهما يكن الأمر ستشعر بالمهانة.»

قال السيد رودنر فيما كانا يدخلان البيت: «ميلاني أيضاً ستشعر بالأسى. لنشرب فنجان قهوة وننسى هذا الأمر. على كل حال، إنه مجرد افتراض.»

«أعجبك، الأستاذ...؟»

«أجل.»

لم يتكلم الأستاذ كثيراً في طريق العودة إلى لندن. فبحثت ميغان في فكرها عن موضوع تتحدث فيه، ولكنها التزمت الصمت، شاكرة ربها لأن الأستاذ بدا مرتاحاً ولا يحتاج لحديث، لم يتفوه بكلمةٍ حتى اقتربا من الشقة حين قال: «ألديك كل ما تحتاجين؟ أتسمحين

لي بالدخول للتأكد من أن كل شيء على ما يرام؟»

«شكراً ولكن لا داعي...»

ساعدها على الخروج من السيارة، وجلب سلة القط وحقيبتها، ثم أخذ منها مفتاح الشقة وفتح الباب وأضاء الغرفة. بدا المكان بارداً ومعتماً. فأشعل المدفأة وأقفل الباب خلفها، ثم أخرج ميريدث من السلة وذهب ليتأكد من الباب الخلفي ونافذة المطبخ.

سألت ميغان متوقعةً أن يرفض: «أتفضل القهوة أم الشاي؟»

«شاي من فضلك.» خلعت ميغان السترة وبحثت عن الكعك الذي أعدته والدتها، ثم أعدت الفنجانين والصحون، وسخنت إبريق الشاي. بدا المكان مريحاً الآن بمصابيحه التي أضفت نوراً لطيفاً، والمدفأة القديمة الطراز التي أعطت حرارة مريحة. «أرجوك إجلس. أمي تعطيني دائماً كعكاً عند عودتي، أتريد بعضاً منه؟»

بعد أن شربا الشاي وأكلا الكعك وقف الأستاذ استعداداً للذهاب. لم يتحدثا عن شيءٍ مهم ولكنه قال الآن: «أختك فتاةٌ جميلةٌ جداً ولكنها خجولة، أليس كذلك؟»

«أجل، لاحظت ذلك، لا؟ ليست خجولة مع الجميع، لقد أعجبتها.»

إبتسم قائلاً: «بخلاف الممرضات في الريجنت هي لا تخافني.»

«آه، هذه أسطورة سخيفة عنك. أنت دائماً موجود في الطابق العلوي، ثم إنك ضخمٌ جداً. لذلك يرتبكن قليلاً عندما تنزل إلى الأجنحة...»

«لأنني ضخم؟»

«جزئياً، ولكن لأنك تبدو أيضاً هادئاً حتى عندما تكون منزعجاً من أمرٍ ما.»

«يجب أن أنتبه لتصرفاتي. أرجوك لا تشكريني على التوصيلة، فأنا الذي يجب أن يشكرك. فرفقتك كانت ممتعة. تصبحين على خير يا ميغان.» وفوجئت عندما قبلها بلطف.

وقفت صامتةً ترقب الباب المنغلق خلفه وتصغي لصوت السيارة المبتعدة بهدوء.

«إذن، إذن.» أخذت ميريدث ووضعته في حضنها. إستمتعت بالقبلة، فلا داعي لإنكار ذلك. ولكن بما أنها لم تفعل شيئاً لتشجعه، أقنعت نفسها بأنه لا داعي لتشعر بالخجل. إلا أنها شعرت بالخجل فعلاً، لذلك رفعت سماعة الهاتف وطلبت رقم أوسكار بالمستشفى.

أجاب في الحال: «لقد عدت، هل استمتعت بعطلتك؟ هل الجميع بخير؟»

«الجميع بخير. هل كنت مشغولاً؟ ألا يمكنك أن تأخذ عطلة هذا الأسبوع؟ حتى ولو لنصف يوم؟»

«لقد تدبرت يوم الأربعاء، سأذهب إلى بيتي، ولكن سأحاول أن أحصل على ساعةٍ أو ساعتين في مساءٍ ما. القسم مشغول جداً الآن وهم يطلبونني.»

«لن أشغلك. أعلمني عندما تصبح حراً وسأحاول أن أعدل دوامي. تصبح على خير يا عزيزي.»

أقفلت الخط وهي تفكر في الإحتمالات، إذا تمكنا من الخروج معاً، وربما عشاء في الخارج؟ أو تطهو العشاء لهما في الشقة؟ حضرت كل شيءٍ للصباح، واستلقت في

الظلام منزعجة من شيء ما، إلا أنها لا تدري ما هو.

قالت لميريدث: «إنه ليس بالشيء الكثير، وإلا كنت عرفت، أليس كذلك؟»

كان الجناح هادئاً نسبياً عندما ذهبت في الصباح. ثلاث حالات كانت بحاجة لإجراء عملية، ولكن في المقابل سُرّح عدداً كبيراً من المرضى. راجعت التقارير مع جيني، ثم قامت بجولتها الصباحية، وعادت إلى مكتبها لتتفحص بعض الأوراق، أعطت لنفسها فرصةً بعد الظهر، حتى تتمكن جيني من العمل مساءً قبل عطلتها. وبما أن حالات الجراحة قد دخلت غرفة العمليات، عادت في الساعة الواحدة إلى شقتها بعد تناول الغداء في الكافيتيريا.

قالت لصديقتها التي سألتها إنها أمضت عطلة رائعة، ولكنها لم تخبرها أن الأستاذ أوصلها. إذ يمكنها أن تتخيل كيف سيثرثر الأصدقاء ويتضخم الخبر في المستشفى، فينكسر قلب أوسكار.

نظفت الشقة جيداً، وذهبت لتتسوق. تقع المتاجر التي تبيع كل شيء تقريباً، في آخر الشارع. تسوقت وعادت إلى البيت لتعد كوب شاي، وتطعم ميريدث، ثم تعد كل شيء للعشاء عندما تعود في المساء.

كان الجناح لا يزال هادئاً. كتبت تقريرها، وتفحصت حالات العمليات، ثم وزعت الدواء، وأعطت التقرير لإحدى الممرضات المناوبات ليلاً، قبل أن تذهب إلى الشقة. كان يوماً لطيفاً. ترى هل كان يوم الأستاذ لطيفاً أيضاً؟ ولكن لا يوافق هو بالطبع على هذه الكلمة.

• • •

لحسن الحظ، بدأت المناوبة بهدوء، فجيني لن تعود قبل اليوم التالي. عادت ميغان في المساء راضية من أن كل شيء جرى كما كان متوقعاً. طهت العشاء ونظفت ميريدث ثم جلست تقرأ حين رنّ جرس الهاتف.

قالت ميلاني: «ميغ، هذا أنا خمني من أتى اليوم. لا، لن تخمني، أوسكار. قال إنه كان ينوي الذهاب إلى بيته، ولكنه قرر في اللحظة الأخيرة أن يمضي يومه في الريف، فأتى إلى هنا. أمضينا يوماً رائعاً.»

قالت ميغان بصعوبة: «ميلي، كم هذا جميل. هل تمشيتما؟»

«أجل أميالاً وأميالاً. رحل منذ ساعةٍ تقريباً. هل أخبرك أنه قادم؟»

«لا يا حبيبتي، ولكنني كنت منذ الثامنة صباحاً أعمل. لذلك، لم يكن هناك مجال. أعرف أنه لم يكن متحمساً للذهاب إلى بيته. أكيد سيتصل بي حالما يصل.»

«قال إنه سيصحبني يوماً لأرى شقتك. ميغ، هل أستطيع زيارتك؟ أحب أن أراها عندما تكونين حرة.»

«طبعاً يمكنك أن تاتي. سأحدد لك أياماً لتختاري منها، هل تريدين النوم؟ يمكنني تدبير مكان لك...»

«قال أوسكار إنه سيعيدني.» عندما لم تجب ميغان قالت: «ميغ، ما زلت على الخط؟ لا بد انك تعبة. تصبحين على خيرٍ حبيبتي.»

وضعت ميغان سماعة الهاتف وقالت لميريدث: «كم هو سخيف حين لا ألاحظ ذلك. إنهما مناسبان لبعضهما البعض، أليس كذلك؟»

سالت دمعةٌ على خدها فمسحتها بغضب. «ربما أحبني قليلاً ولكن لا أعتقد أنه كان مغرماً. كم كنت سخيفة.» سالت دمعة ثانية إلا أنها لم تمسحها بل حملت ميريدث وبكت فوقه.

الفصل الرابع

بخلاف بطلات الروايات الرومنسية، لم تبق ميغان مستيقظة طوال الليل، بل استغرقت في النوم لتعبها بعد عناء يوم طويل. إستفاقت صباح اليوم التالي بأفكار مشوشة، ولكنها حاولت أن تحافظ على هدوء أعصابها لتفكر بحلٍ معقولٍ لهذه المعضلة. قالت لميريدث وهي تحضر إفطاره وتأكل قطعة توست: «من الأفضل أن أقابل أوسكار بأسرع وقتٍ ممكن على الرغم من أنني لا أرغب في ذلك. يجب أن أكون هادئة ومتعقلة.»

ألقت نظرةً على وجهها في المرآة. تبدو مُرعبة. إذا سألها أحد ستقول إنها تعاني من برد. ربما بعض التبرج سيساعد قليلاً ولكن لا وقت لذلك.

لحسن الحظ كان الجناح طوال الليل مشغولاً، لذلك سيكون التقرير اليومي أطول من المعتاد. هذا، بالإضافة إلى حالة في غرفة العمليات، وحادث سيارة قادم من قسم الحوادث. لم يتسن لأحد والحمد لله، لكي ينظر إليها. عملت طوال اليوم بنشاطها المعتاد، راضية عن مظهرها العادي. ولكن ربما هذا غير صحيح. ففي فترة العشاء حدق إليها الأصدقاء وسألوها: «ما الخطب؟»

قال أحدهم: «ميغ تبدين وكأن أحداً ضربك على رأسك.»

«لا، أبداً. أظن أني مصابةٌ ببرد.»

عادت إلى الجناح مرتاحة لعدم معرفة أحد بأن قلبها قد

انفطر. للأسف بدد الأستاذ هذا الإرتياح حين سألها: «ماذا جرى لك؟»

«لا شيء يا سيدي، مجرد برد...»

«هذا هراء.»

كان هذا لا يحتمل. رجفت شفتها، مصارعةً دموعها: «هذا ليس هراء.»

وقف محدقاً بها: «هل أنت حرة هذا المساء؟ سنتناول العشاء معاً وتخبرينني عن الأمر.»

«يجب أن أرى أوسكار، لكن شكراً على الدعوة.»

«لا داعي لتقابلي أوسكار في مثل هذه الحالة.» سنتناول العشاء معاً، وتخبرينني عن هذه الكارثة التي جعلت منك امرأةً متعبةً، غير قادرة على إدارة جناحها.»

قالت بعصبية: «طبعاً أنا قادرة على إدارة جناحي، وليس من شانك أن تتدخل في حياتي.»

«لا، لا، أنت مخطئة، أنا أعرض خدماتي مثل كاهن تعترفين له، كصديق تحتاجين إليه، أو إذا أردت كغريبٍ، متجرد من أية مصلحة.»

بينما كانت تفكر بشيءٍ تقوله قال بسرعة: «حسناً، لا وقت لدي للثرثرة. سأمر بك في السابعة والنصف مساءً.»

لم تستعد قدرتها على التعبير إلا بعد أن أصبح على بعد خطوات.

كانت ممرضةً ممتازةً لإدارة الجناح، وكانت في ذلك اليوم أكثر من ممتازة، ليس لديه أدنى فكرة عما يقوله.

تأخرت ميغان في العمل نصف ساعة. لم تكن راغبة في أن تتصل بأوسكار كثيراً. بالطبع، لو التقت به لكانت طلبت

منه أن يتحدثا، ولكن لم يبدُ له أي أثر. عادت إلى الشقة حيث أعدت لنفسها كوباً من الشاي، ثم أطعمت ميريدث وبحثت في خزانتها عن شيء ترتديه. فعلت كل شيء من غير تفكير، إذ أنها كانت منشغلة البال بأوسكار، تتمنى لو أنه يتصل بها. ارتدت تنورةً خضراء من التافتا، مع بلوزة بيضاء بكمين طويلين، لتناسب أي مكانٍ قد يأخذها الأستاذ إليه. ارتدت معطفاً صوفياً بذيلٍ أخضر يتناسب مع التنورة، ثم اختارت حذاءً أسود مع جزدان ملائم. ورفعت سماعة الهاتف، شاردة الفكر، لتتصل بأوسكار.

كانت تطلبه على الهاتف عندما انفتح الباب. فأعادت السماعة إلى مكانها. دخل الأستاذ صامتاً ولاحظ أن سماعة الهاتف لم تكن في مكانها، فقال برقة: «في الوقت المناسب، أليس كذلك؟ حسناً، اتصلي به إذا أردت. هناك الكثير من الوقت يمكنني أن ألغي الحجز.»

«لا، لا تفعل ذلك.» لاحظت فجأة أنها جائعة وتعسة. «أنا جاهزة.»

حمل ميريدث وقال: «يبدو في حالةٍ ممتازة، إنه يدين لك بذلك.» وضع القط جانباً وفتح الباب لتمر ميغان أمامه. كان شارعاً هادئاً. لذلك فإن وجود رولز رويس يعتبر حدثاً يستحق المناقشة بين الجيران في الصباح. دخلت السيارة فأقفل الباب وجلس بجانبها.

«هل جيرانك ودودون؟»

«في الحقيقة، ليس بيننا إلا تحيات الصباح والمساء. إن الفضول يعتريهم عندما أخرج...»

«هذا طبيعي، كان بإمكانك أن تلوحي لهم.»

ضحكت وقالت: «لن يحبوا ذلك، فهم يعتقدون أني لا أراهم وهم يسترقون النظر.»

تكلما قليلاً عن الطقس، وأخبار المستشفى الغريبة. عندما وصلا شارع شارلوت لم تعد تشعر بذلك الخجل عندما أقلّها. كان مطعماً فرنسياً مشهوراً. جلسا إلى طاولةٍ منعزلة في زاوية حميمة من الغرفة. ارتاحت ميغان لارتدائها شيئاً يليق بهذا المكان المترف. أما الأستاذ فجلس من غير أن ينظر حوله، بكثير من الراحة، والأناقة بالبزة الرمادية الداكنة، وربطة العنق الحريرية. لاحظت ميغان أنه يعرف المكان جيداً.

تفحصت لائحة الطعام، فقد كانت جائعة، حتى الفتيات التعيسات عليهن أن يأكلن. إختارت سلطة قريدس مع شرائح لحم خروف بالإضافة إلى صلصة مَديرا وبطاطا مهروسة. أما الأستاذ، فاختار قريدس مع تورنيدو، مطبوخاً بالخل الأحمر. وطلب شراباً قبل أن يبدأ بحديثٍ لا حاجة لأن تشارك به كثيراً. تناولت عشاءها بشهية، وشربت كأسين من الشراب. عندما أُحضرت القهوة قال: «الآن، ما الأمر؟»

«ألا تخاف من أني قد أنفجر بالبكاء؟ غريب ما قد يفعل كأسان من الشراب بكبرياء الإنسان.»

«لا، وإلا لما كنت اصطحبتك إلى هنا.»

«إنه أوسكار. إنه مغرم بميلاني، وأنا متأكدة أنها مغرمة به، ولكنها لا تعرف ذلك بعد. أخبرني البارحة أنه ذاهب لزيارة أهله، ولكنه أمضى اليوم في بيتي ولم يخبرني. لم أره منذ رجوعه، ولم أتصل به أيضاً. لا أعرف بماذا أشعر، ميلاني رقيقة جداً وأنا أريدها أن تكون سعيدة.»

سكبت مزيداً من القهوة وأضافت: «ظننت أنه مغرمٌ بي. صحيح أنه ليس من النوع الذي يظهر ذلك، ولكن مهما يكن من أمر... توقعت أن نكون سعيدين معاً. أنا متأكدة أنه يحبني، ولكنه أمر مختلف عن الغرام، أليس كذلك؟»

«وأنت يا ميغان، هل أنت مغرمةٌ به؟»

إحمرّت خجلاً وقالت: «كنت أعتقد أن مشاعرنا تجاه بعضنا كافية. لا أؤمن بوجود الحب العاصف في الواقع. ربما في حالات نادرة، كاوسكار وميلاني مثلاً، أعني عندما لا تستطيع أن تمنع نفسك حتى ولو كان ذلك يسيء للآخرين.»

صمتت هنيهةً ثم أضافت: «أشعر وكأني أمام طريقٍ مسدود، لا أعرف ماذا أفعل.»

«يدهشني فعلاً أن أرى فتاةً ذكيةً مثلك تسمح لعواطفها أن تتحكم بها...»

«في الحقيقة...»

«لا داعي للشرح. أعذريني، أنا نادراً ما أسدي نصائح، ولكن إذا سمحت لي أقترح أن تذهبي إلى البيت وتتحدثي مع شقيقتك، صحيح أن هذا صعب ولكن يمكن أن يوضح الكثير من الأمور.»

«ولكن ليس لدي عطلة حتى نهاية الأسبوع بعد المقبل.»

«هذا أفضل. بذلك يكون لديك الكثير من الوقت لتهدئي، وتناقشي الموضوع بمنطقٍ أكثر.»

«وأوسكار؟ فأنا غالباً ما أراه.»

«أنا متأكد أنه باستطاعتك أن تختلقي أعذاراً لعدم رؤيته، على الرغم من أنه من الحكمة أن تشاهديه لتقيّمي الموقف.»

«أين تعلمت أن تتكلم الإنكليزية بهذه الطريقة الممتازة؟»

شعرت ميغان بالحرج لتسرعها في طرح هذا السؤال، فاحمرت خجلاً، ولكنه ابتسم قليلاً.

«كان لدينا مربية إنكليزية، لا تزال موجودة، ثم إني أمضيت عدة سنوات في كامبريدج.»

«آه، هذا السبب إذن، لم أقصد أن أكون فضولية. شكراً للطفك، لم أكن أنوي أن أخبر أحداً... ساعمل بنصيحتك وشكراً على هذه النصيحة. هل أبدو شاحبة؟»

أجابها بجدية وفي عينيه وميض: «لقد قصدت من المجيء بك إلى هذا المكان الشاعري، أن امنعك من البكاء في الممشى الماهول بكل العاملين في المستشفى.»

«آه، حسناً، إنه لطفٌ منك.»

«تعلمت منذ زمنٍ كيف أحيط من هم على وشك البكاء.»

ترى هل زوجته تبكي كثيراً أم أنه يقصد بناته؟ كم تتمنى أن تعرف، وقد أظهر بطريقته الخاصة أيضاً، كيف يحبط همة من يلقي عليه بأسئلة غير مرغوب فيها.

إستقلا السيارة وعندما وصلا إلى البيت لم تدعه للدخول، ولكنه خرج معها ثم فتح الباب وأضاء الغرفة كما فعل سابقاً. وألقى كالعادة نظرةً على المطبخ والنافذة وسمع بنفاد صبر كلمات الشكر ثم تمنى لها ليلةً سعيدة وذهب. «لم يكن في أي حال يريد الدخول، خاطبت ميرديث.»

لم ترَ أوسكار إلا بعد عدة أيام، ولم تعرف فيما إذا كانت سعيدة لرؤيته أم لا. إلتقت به وهي في طريقها إلى قسم الأشعة، فتصرفت بشكلٍ طبيعي على الرغم من أن ذلك تطلب

منها جهداً. كان واضحاً أنه يعاني من شعورٍ بالذنب. كم سيكون لطيفاً ومريحاً أن تخبر الأستاذ كيف تملهست منه، الذي لم يظهر له أثر، إلا في مساء اليوم الذي سبق ذهابها إلى البيت، فيما كانت ذاهبةً مع أوسكار إلى الحانة. مرّ بهما فيما كان بطريقه إلى باحة المستشفى. رفع يده ليحييها فتخيلت ميغان أنه يبتسم.

كان الأستاذ بالطبع مصيباً. فقبل أن تذهب إلى منزلها، كانت قد هدأت كفاية، وأصبح بإمكانها معالجة مشكلتها مع أوسكار من غير أن تبكي لمجرد ذكر الموضوع. أخرجت حقيبتها وميريديث من السيارة ودخلت البيت حيث التقت بوالدتها خارجةً من المطبخ. «مرحباً حبيبتي، كم هو لطيفٌ أن نراك ثانيةً. ذهبت ميلاني إلى مزرعة كوب، ولكنها ستعود في الحال.»

حضنت ميغان أمها: «لا بأس يا أمي. أعرف قصتها مع أوسكار ولا حاجة للقلق. أريد أن أتحدث إليها أولاً، قبل الإقدام على أية خطوة.»

«حبيبتي، لقد لاحظت ووالدك الأمر، وتمنينا أن تلاحظيه أيضاً. ثم مجيئه لوحده وخروجهما مع بعضهما. ميلاني تشعر بتعاسة...»

«آه، المسكينة. لا حاجة لذلك. أريد أن أتأكد من حبهما لبعضهما، فما رأيك؟»

«تقابلا ووقعا في الحب، حبيبتي، إنه إفتتاناً، لا يستطيعان شيئاً حياله. هل تشعرين تجاه أوسكار على هذا النحو؟ احساس يصيبك مثل الصاعقة، تعرفين بعده، أنك لن تكوني سعيدة مع سواه.»

كانت ميغان قد لحقت بأمها إلى المطبخ وأطلقت ميريديث، ثم سكبت القهوة. قالت ميغان وهي تجلس في مواجهة أمها: «لا يا أمي، لم أشعر هكذا. كنت سعيدة وراضية فقط بوجودي مع أوسكار. كنت أعتقد أن الحياة ستكون جميلة لأنه رجل حلو المعشر.»

«يا طفلتي العزيزة، الحب لا يهتم بالطبيعة أو المعشر. يمكن أن تغرم المرأة، برجلٍ غير صبور، ذي طباعٍ سيئةٍ يرمي المناشف على أرض مطبخها وينسى عيد ميلادها ولكنه يعبدها.»

لدهشتها، وجدت ميغان نفسها تتساءل إذا كان الأستاذ يرمي المناشف على أرض الحمام. «يجب أن أبين لميلاني أن تلبي ليس منفطراً. لقد تأثر قليلاً، ولكنني أعرف أنني سأتعافى. كانت صدمةً ولكني تعودت على الفكرة، وكلما أسرعنا في إلغاء خطوبتنا وفي زواجه من ميلاني، يكون أفضل.»

«هل يعرف أحد؟ أعني في المستشفى؟»

إنزعجت ميغان من نفسها لإحمرارها خجلاً. «الأستاذ ڤان بلفيلد يعرف. لقد التقاني في احد ممرات المستشفى واستقصى ذلك مني.»

حدقت السيدة رودنر بها بحنانٍ وقالت: «أظن أنه أسداك نصيحةً جيدة.»

«حسناً، أجل لقد فعل. قال لي بأن أفعل ما أفعله الآن، وهو التأكد من أن ميلاني تحب أوسكار.»

«يا له من رجلٍ حكيم ومتفهم جداً. أظن أنه متزوج وله أولاد.»

«إنه لا يتحدث عن نفسه أبداً ولكنني أظن أنه متزوج.»

«هو ليس بشاب على كل حال.»

استطردت ميغان وقالت بحدة: «ليس بعجوزٍ أيضاً، في الأربعين على أبعد احتمال.» نظرت إليها والدتها بشكٍ، وهي تعرف أن ابنتها الجميلة لا تخبرها كل شيء. فهي لا تزال تعتقد أن الأستاذ مهتم بميغان، ولكن بالطبع هناك خطر من أن يكون كاولك الرجال الذين يعملون لأسابيع طويلةً بعيدين عن بيتهم فيقعون في حب أية فتاةٍ جميلة يقابلونها. قد يكون أرمل. ربما كانت مخطئة، لا بد أنه أسدى نصيحةً لزميلةٍ محتاجةٍ لها. لكنه لم ينظر إليها كزميل، بل كعاشق. كانت السيدة رودنر متأكدةً من ذلك. ولكن لم يكن عند ميغان أدنى فكرة...

نظرت إلى الساعة وقالت: «لا يزال الوقت مبكراً. أتريدين أن تتحدثي مع ميلاني في الحال؟ فإذا أردت ذلك يمكنك أن تذهبي لتقابليها. فالمشي معاً يجعل الكلام أسهل من الجلوس في غرفة مواجهتين بعضكما البعض.»

على الرغم من كلمات ميغان الشجاعة، كانت السيدة رودنر قلقة لرؤية إبنتها شاحبةً ومرهقة.

إنتعلت ميغان حذاءً قديماً، وتأكدت من أن القط في المطبخ ينام بسلام، وذهبت تبحث عن أختها.

كانت والدتها تضع طعام الغداء على الطاولة، عندما عادتا إلى البيت متأبطتين ذراعي بعضهما البعض. بدت ميغان مشرقة بعينين باردتين، ووجه يكاد أن يتحطم في أية لحظة. أما ميلاني فقد بكت كثيراً، إلا أن البكاء لم يفسد وجهها الصغير الجميل. كان السيد رودنر قد عاد لتناول

الغداء. أخبرته زوجته بما حدث، ولكنه لم يعلق، بل حيا ميغان بحنانه المعهود، وكالعادة سألها عن العمل. «أنا سعيد لوجودك معنا. الحديقة بحاجة لعمل كثير. كنت آمل أن أزرع الحمص، وأثبت شتلات البازيلاء. الأرض جاهزةٌ للزراعة.»

هذا بالضبط ما كانت تحتاجه ميغان. لقد تحدثت مع ميلاني، وهي تعرف الآن بكل تأكيد أن ميلاني تحب أوسكار وهو يحبها أيضاً، ولكنهما يشعران بالذنب الوقت نفسه. إلا أنها حاولت أن تقنع ميلاني بأنه لا داعي للشعور بالذنب. قالت لأختها الباكية: «هذه الأمور تحدث يا حبيبتي. فكري كم أنه سيكون فظيعاً لو أنكما اكتشفتما كم تحبان بعضكما البعض بعد أن نتزوج، أنا وأوسكار. لم أصب باي أذى ولم يتحطم قلبي. أتعرفين، لا أعتقد أني أحببت أوسكار بالطريقة التي تحبان بعضكما بعضاً. لا تهتمي، سانسى ذلك بسرعة.» قطعت وعداً لنفسها بأن لا تقول شيئاً عن أوسكار، قبل أن تقابله على الأقل وتكلمه بنفسها. وستمضي في الوقت الحاضر عطلتها في حرث الحديقة، مما سيساعدها كثيراً على قضاء هذه الأيام المربكة والعصيبة. كانت تقنع نفسها بعد يوم طويلٍ من الحرث والزرع بالنوم. كان مرهقاً فعلاً أن تتصنع السعادة، في الوقت الذي كانت تتمنى فيه أن تصرخ بأعلى صوتها.

حاول والداها تبسيط الوضع بأكبر قدرٍ ممكن. سمعاها بهدوء وهي تخبرهما عن الوضع، ربما أنها كانت تفعل الصواب، لم يسدياها أية نصيحة، أو حتى حاولا غمرها بحنانٍ زائد.

قال لها والدها: «إنه وضعٌ حرج، ولكننا سنتخطاه. هذه الأمور تحدث. وأنا مرتاحٌ لأن ذلك حدث قبل أن تتزوجي من أوسكار، أو حتى أن تتكلما بجدية في الأمر.»

هذا صحيح، فهما لم يناقشا موضوع الزواج قط. إكتفيا بخطوبةٍ بسيطة، مع ذكر مبهم جداً لفكرة الزواج. لم يكونا مستعجلين، فمستقبل أوسكار هو المهم. على كل حال، كانت أمه ستأخذ وقتاً طويلاً قبل أن تتعرف عليها وتحبها. وهكذا أمضت عطلتها تذكّر نفسها عدة مرات في اليوم بهذه الحقائق مما خفف من آلامها، إلا أنه لم يطرد خشيتها من المستقبل الفارغ والمجهول.

تمرنت، وهي في طريق عودتها مساء الأحد على ما كانت ستقوله لأوسكار، فستكون هادئةً ومتعقلةً ولن تدعه يلاحظ شعورها بالمهانة. بعد أن تفعل ذلك، ستضطر لأن تخبر أصدقاءها في الريجنت، ولكن لن يكون سهلاً. صحيح أنها كانت محبوبةً في المستشفى، ولكن، مهما يكن من أمرٍ، سيثرثرون كثيراً. الحمد لله، لن يدوم ذلك طويلاً، لذلك عليها أن تتحمل حتى تطرأ أخبار جديدة في المستشفى.

قررت ميغان، بعد تفكيرٍ طويلٍ، أن لا تنتظر حتى يتصل بها أوسكار، ولكن قبل أن تتصل هي به، أعطاها البواب رسالةً من قبل أوسكار، يعلمها فيها، أنه سيكون حراً بعد السادسة من مساء يوم الثلاثاء، ليتقابلا حول شراب.

بدا يوم الثلاثاء أبدياً، ليس لتشوقها لميعاد الليلة، بل لأنه كان مليئاً ببعض النكبات الصغيرة. فقد ألغى قسم الأشعة احدى نتائجه، وجرحت احدى الممرضات المتمرنات يدها بكأسٍ مكسور... بعد أن أنهت عملها،

تمنت أخيراً لو دام هذا اليوم السيء إلى الأبد، فقد نسيت ميغان كل ما كانت قد استعدت له من كلام، وخشيت أن تنفجر بالبكاء حين ترى أوسكار. ولسوء الحظ، التقت الأستاذ وهي تغادر المستشفى، كان داخلاً فأمسك الباب واقفاً في طريقها.

«هل أنت حرة هذا المساء؟ وهل أنت ذاهبةٌ لمقابلة الدكتور فيلدنغ؟ رائع.» إبتسم لها بعذوبة، لدرجة أنها رغبت في الارتماء على صدره والبكاء بحرارة. قال بصوته الهادىء: «إهدئي الآن، لن يكون الأمر سيئاً كما تتصورين. ستخبرينني كل شيءٍ لاحقاً.»

نظرت إليه باندهاشٍ قائلة: «كيف عرفت؟»

«لدي معلومات عن جدول الطاقم.» ربت على كتفها وأضاف: «إذهبي الآن وانهي الأمر.»

بدا وكأنه يتكلم مع فتاةٍ صغيرة، بدلاً من امرأةٍ رائعة البنية في الثامنة والعشرين من عمرها.

شعرت ميغان بارتياحٍ شديد، فهو لم ينتقدها أو ينتقد أوسكار. بل خلاف ذلك، كانت تعليقاته غير شخصية، ومريحة دائماً. أعدت لنفسها كوباً من الشاي، وأطعمت ميريدث، ثم أمضت وقتاً في اختيار ما سترتديه، فقد شعرت أنه من المهم أن ترتدي شيئاً مناسباً لهذه الليلة. قررت أن ترتدي تنورة صوف سوداء مع قميصٍ وكنزة وردية اللون لتخفف من حدة سواد التنورة، وبما أنها كانت ليلة كئيبة، اختارت سترة سوداء. تمنت أن ترتدي شيئاً صيفياً جميلاً، ولكن تغيّر الطقس منعها. على كل حال، كانت الثياب التي ارتدتها جميلة.

كان أوسكار في انتظارها عند بوابة المستشفى، أخذها بيدها وسارا إلى المقهى، معتذراً لأنه لن يبقى سوى نصف ساعة، جلسا في صالون المقهى حيث سألها: «ماذا تشربين؟»

«تونيك لو سمحت.»

إبتسمت له فيما كانت تدرس وجهه. يا له من وجهٍ لطيف، ستفتقده، على الرغم من أنها ستضطر لرؤيته كثيراً في المستقبل داخل المستشفى وخارجه. بدا قلقاً، لا شك أنه كان كذلك، فعلاً.

«إذا لم يكن لديك سوى نصف ساعة، أريد أن أقول شيئاً بسرعة. لذا أرجو ألاّ تقاطعني. أنا أعرف موضوعك مع ميلاني... لا، أوسكار، طلبت منك ألا تقاطعني. ذهبت إلى البيت وتكلمت معها في الأمر، وكل شيءٍ الآن على ما يرام، أظن أنك أحببتني، ولكن ليس كفاية. أنت تحبها فعلاً، أليس كذلك؟»

احتست شرابها، وتمنت لو أنها طلبت شيئاً آخر.

خلعت الخاتم من اصبعها ووضعته أمامه على الطاولة.

«سيسعدني جداً أن تكون صهري، أرجوك، لا داعي لأن تشعر بالذنب، قد يحدث هذا لأي إنسان.»

«أنتِ يا ميغان، لا تمانعين. ألم تحبيني أبداً؟ أردت أن أخبرك ولكني لم أشأ أن أكدّرك... إعتقدت أن قلبك سيتحطم.»

شعرت ميغان بنفاد صبرها: «طبعاً أنا أمانع، وبالتأكيد أحببتك، ولكن، كما أعتقد، ليس كفاية. أما بالنسبة للقلب المحطم فقلبي مخدوش قليلاً.»

«آه، ميغ، أنا آسف جداً. كان يجب أن أخبرك منذ اللحظة

الأولى التي رأيت فيها ميلاني وعرفت اني وقعت في حبها. انها جميلة جداً ورقيقة. ننوي أن نتزوج قريباً. سأجد عملاً في الريف...»

إنه يحب ميلاني فعلاً. فقد تخلى عن مشاريعه المستقبلية بلا تردد، سيفعل ما كانت تريده أن يفعل بالضبط، ولكن ليس من أجلها، بل من أجل شقيقتها. وفجأة، لم تعد تتحمل. وقفت بسرعة وهي ترسم ابتسامةً على شفتيها، وقالت: «يجب أن أذهب فلدي موعد، سأراك في الجوار. أرجوك اتصل بميلاني، بأسرع وقتٍ ممكن فهي قلقة جداً.»

خرجت مسرعةً من المقهى، واتجهت إلى شقتها حيث رأت الرولز واقفةً في الخارج. كان الأستاذ يتكلم مع مجموعة من الصبية ولكنه تركهم عندما رآها وأخذ منها المفتاح ليفتح لها الباب.

لم تنظر إليه. فقد كانت تقاوم دموعها. قالت بصوتٍ مخنوق: «لا تتجرأ وتدخل الغرفة.»

دخلت الشقة ورمت بنفسها على الكرسي.

قال الأستاذ برباطة جأش: «ما تحتاجينه هو كوبٌ شاي ساخن. فقد اكتشفت أن الناس يتعافون في هذا البلد بسرعة عندما يشربون شاياً قوياً، مغلياً، محلىً بالسكر والحليب.» إبريق الشاي على النار وأحضر الفنجانين فيما كان يصفر. «طبعاً هذا إجراء مؤقت، فبعد أن تشربي الشاي وتبكي جيداً، ستغسلين وجهك وترتبين نفسك ثم تذهب إلى مكانٍ ما نتناول فيه الطعام ونشرب.»

«شراب؟ ولكنه للإحتفال. آه، أرجوك أن تذهب.»

لم يعر كلامها أي اهتمام، بل قدم لها منديلاً كبيراً واحضر ابريق الشاي ووضعه على الطاولة بقرب كرسيها، سكب لها الشاي وقال: «إشربيه ساخناً، وتوقفي عن البكاء، على الأقل كي تشربيه.»

قالت باكية: «لا أريد شاياً...»

«لا، لا، هذه ليست طريقة للكلام. هل صرخت بوجه الشاب فيلدينغ؟»

«بالتأكيد لم أفعل. أظن أنه بامكاني البقاء وحيدة إذا أردت ذلك.»

أخذ منها المنديل ومسح دموعها: «إشربي الشاي. لا حاجة لمزيدٍ من البكاء، فقد انتهى الأمر.» عندما شربت الشاي مطيعةً أوامره أضاف: «الآن، أنت فتاةٌ عاقلة، هل فكرت بالأمر؟ كان هناك حتى هذا المساء ثلاثة أشخاص تعساء، أما الآن فيوجد واحد فقط.»

شربت المزيد من الشاي وأضافت برقة: «أنت لطيفٌ جداً. أنا آسفة لأني مزعجة وفظة.»

«لا تهتمي. إنهي الشاي، ثم اغسلي وجهك لنخرج، فانا جائع.»

«لا أقدر، أبدو مخيفة.»

«مخيفة وجميلةٌ جداً. ضربة مشط في شعرك مع مسحة من البودرة على وجهك وستبدين أجمل بكثير.»

ذهبت إلى المطبخ ونظرت في المرآة. إنها تبدو في حالةٍ مزرية، بالإضافة إلى أن هناك شيئاً ما يقلقها.

«إنه للطفٌ منك أن تدعوني للخروج معك، ولكن لا أظن أنه يمكنني ذلك، ألن تعترض زوجتك؟»

نظر إليها برقة وقال بعدم اهتمام: «أنا متأكدٌ تماماً أن زوجتي لن تعارض.»

«ألا تعتقد أنني سخيفةٌ ومحافظة؟»

«لا، أبداً. فانا نفسي محافظ.»

شعرت ميغان بالرضا، فدخلت الحمام وغسلت وجهها، مما أنعشها قليلاً. «يجب أن اوضب شعري ووجهي في المطبخ، إذا لم تمانع.»

«لا، أبداً.»

إنه لأمرٌ غريب فعلاً، فعلى الرغم من ضخامة حجمه، تصرفت وكأنه غير موجود.

«هل أنفع هكذا؟»

«رائع. لن نذهب إلى مكان فخم.»

أخذها إلى فندق داتشت، الذي يقع في وندسور خارج لندن. يطل الفندق على قرية جرين، وقد لاحظت بارتياح، أنه مطعم ريفي هادىء يتلاءمُ مع ما ارتده من ملابس. إختار الأستاذ الطعام. كانت غرفة طعام جميلةً، حيث يتناول كثيرٌ من الناس عشاءهم بهدوء إلى طاولات بعيدة عن بعضها. تناولا شراباً في المقصف قبل أن يؤخذا إلى احدى الطاولات. ألقيا نظرةً على لائحة الطعام قبل أن يسأل: «هل تريدين شيئاً معيناً؟»

عندما هزت رأسها بالنفي قال: «هل تبدأ بالسلطة؟ البط المشوي مع البرتقال لذيذٌ جداً هنا...»

«هل أتيت إلى هنا من قبل؟»

«إنه لأمر طبيعي بالنسبة لمتجول.»

تكلم في موضوعٍ بسيط حتى قدّمت السلطة، ولم يتحدث

طوال العشاء سوى بمواضيع خفيفة. شعرت ميغان بعد هذا العشاء اللذيذ بقليل من الراحة. فيما كانا يحتسيان القهوة، سألها إذا كان لديها دوام في الصباح، وعندما ردت بالإيجاب قال: «في هذه الحالة يجب أن نعود. أنت بحاجة لقسطٍ من الراحة.»

لو كان لديها أخ أكبر لعاملها بالطريقة نفسها، ولكنه بالطبع دعاها للخروج، لأنه رجل لطيف، ولأنها كانت منزعجة. كان سيفعل ذلك مع أي شخصٍ آخر وليس لأنه يفضل صحبتها بشكلٍ خاص.

خرجت معه إلى السيارة وهي تشعر قليلاً بدوخة. جلست إلى جانبه بصمتٍ، فيما قاد، عائداً إلى الشقة، حيث خرج. فتح باب الشقة كالعادة وتفحص المكان ثم قاطع شكرها بالطف الطرق الممكنة وذهب. لم يكن من النوع الذي يضيع وقته في حديثٍ لا معنى له. فلم يمنحها مجالاً لتقول أي شيءٍ غيق الشكر. قالت لميفيدث: «كما اعتقدت فهو لم يدعوني لأنه أراد ذلك. أؤكد لك بأنه لن يكلمني لعدة أيام.»

كانت محقة، إذ أنها لم ترَ الاستاذ لعدة أيام، لكنها رأت أوسكار الذي حياها بوجهٍ خجول، مما جعلها تترجاه بأن لا يكون سخيفاً. علم المستشفى بما حصل، فقد لاحظت أن هناك الكثير من الثرثرة، ولكن أصدقاؤها حاولوا أن يساعدوها. فقد كانوا يدعون أنفسهم في أمسيات إجازتها إلى العشاء، أو يقترحون التسوق. على كل حال، انتهت الثرثرة الآن، واصبح أوسكار يتصرف طبيعياً حين يلتقيان. لا تزال تشعر بحزنٍ وضياع، ولكن من الواضح أن أوسكار كان سعيداً، أما ميلاني فقد كانت تطير من الفرح

حين اتصلت بها. طمأنت ميغان نفسها، إنه في خلال شهرٍ أو أكثر ستشعر بحكمة تصرفها.

لذلك لم تسمح لمشاعرها أن تؤثر على عملها. فقد كانت تتعامل بأعصاب هادئة ووجهٍ باسم مع الممرضات والمرضى، وباستثناء أسف جيني الهادىء، لم يقل لها أحد أي شيء، حتى السيد برايت اكتفى بالقول بعد أن أنهى جولته: «آسف لما حصل بينك وبين أوسكار.» لا بد أن هناك اجماع على تناسي ذلك الحدث المشؤوم، أو هذا ما اعتقدته، إلى أن قابلت الأستاذ في صباح أحد أيام مناوبتها. تمنى لها صباحاً سعيداً وسألها: «هل رأيت الشاب فيلدينغ؟ أظن أنه أمرٌ صعب ومربك في البداية، ولكن المرء يتعود مع مرور الوقت على ذلك.» كان واقفاً كالعادة أمامها بحيث لم تتمكن من المرور بسهولة إلا قبل أن تدفعه قليلاً.

تمنت له ميغان ببرودة، صباحاً سعيداً. لماذا كان عليه أن يجعل نهارها سيئاً، في الوقت الذي أوشكت فيه على نسيان الموضوع بكامله؟ بما أنه كان ينتظر جواباً، قالت: «أجل، رأيت أوسكار عدة مرات. فهو وميلاني سعيدان جداً، وأنا أيضاً.» رفعت وجهها باتجاهه، فانزعجت من ابتسامته.

«هذه أخبار حسنة، فأنت صغيرة جداً على اليأس. فمن الأفضل أن تقعي في الحب عدة مرات، وهكذا، عندما تواجهين الحب الحقيقي ستعرفين الفرق، تماماً مثل الشاب فيلدينغ.»

«إنك تتصرف بخبث. اعرف أنك الدكتور الإستشاري ومن المفروض أن أحترمك، ولكنني لست مناوبةً بعد ولا أنت.»

«آه، هذه هي الروح التي أريدها. ميغ، أخرجي ذلك الحزن من صدرك الجميل. سأُقلّك إلى بيتك يوم عطلتك، لتثبتي لعائلتك أنك تعافيت جيداً.»

بدأت بالقول: «لا أريد...»

«الجمعة، أليس كذلك؟ ساكون خارج شقتك في الثامنة والنصف، كوني جاهزة.»

«حسناً، لن أكون.»

كانت ميغان ترتجف غضباً، ولكنها تمكنت من إجتيازه وأسرعت إلى جناحها. لقد أخرها وأتعب أعصابها أيضاً.

تفحصت تقرير الممرضة المناوبة ليلاً، بتوتر، مما جعل الممرضة تكرر الملاحظة مرتين، الأمر الذي لم يحصل سابقاً. كذلك لم تنتبه لملاحظة مساعدتها، التي ربما قالت أن السيدة بريجز تتذمر من طعام الإفطار.

«آسفة، فانا مرهقةٌ قليلاً. ما بها السيدة بريجز؟ إنها مُتعِبة، أليس كذلك؟ أعتقد أنه علينا نقلها إلى غرفة اخرى، قبل أن تُزعج السيدة كوك التي بجانبها. والآن من سنرسل مع الحالة الأولى إلى غرفة العمليات؟»

الفصل الخامس

رددت ميغان عدة مرات لنفسها، أنه ليس لديها نيةٌ في الذهاب مع الأستاذ يوم الجمعة، ولكنها وجدت نفسها في الوقت نفسه تتفحص خزانة الثياب وكأنها مصممةٌ على الذهاب، وبأفضل مظهر، السترة الرمادية والتنورة الموشاة تفيان بالأمر. إذ أنهما تناسبانها تماماً، أعدتهما للصباح، وذهبت إلى النوم، لتقوم بعد نصف ساعةٍ وتضعهما ثانيةً في الخزانة، وتبحث عن تنورة بنية اللون مع قميصٍ أصفر وشال. كانت تنوي أن تتمشى وتعمل في الحديقة عندما تصل إلى البيت. لذلك سيكون من السخف أن تتانق، غصت بالبكاء. لا فائدة من التانق، إذ لا يوجد أحدٌ لتتانق له. عادت إلى السرير وراحت في نومٍ عميق. عندما استيقظت في الصباح، لم تكن للأسف في أحسنِ أحوالها. وعلى الرغم من جهدها في إخفاء ذلك، قال لها الأستاذ عندما فتحت له الباب: «كنت تبكين ثانيةً.»

حمل سلة ميريديث، ورافقها إلى السيارة، وضع السلة في المقعد الخلفي، وجلس بجانبها، ثم قال من دون أن ينظر إليها: «سنسلك الطريق الطويلة. أتوافقين؟ في أي وقتٍ يتوقعون وصولك؟»

«عندما أقود بنفسي أصل حوالي الساعة الحادية عشرة عادةً.»

«عظيم، عظيم، سنسلك طريق ويكومب. هذا سيعطيك وقتاً لتخبريني لماذا تبدين بائسة.»

«لا أبداً يا استاذ. أشعر بقليلٍ من التعب فقط.»

«ليكن، لماذا تشعرين بقليلٍ من التعب. هل العمل في الجناح كثير عليك؟»

«طبعاً لا، استلمته منذ حوالي خمس سنوات...»

«أنت في حالةٍ مزرية وتحتاجين للتغيير.»

ارتجف صوتها حين قالت: «هل تتجرأ وتقول لي إنه بسبب إلغاء زواجي مع أوسكار، ستكون فكرة جيدة أن اترك الريجنت؟»

«بالطبع لا، أنت تديرين الجناح بشكلٍ جيد، وأنا بالذات سآسف لرحيلك.»

«ولكنك اقترحت...»

«أن ترحلي؟ أجل.» بقي صوته هادئاً كعادته حين أضاف: «على كل حال، هذا قرارك وحدك، أليس كذلك؟ طالما ترين أوسكار، الأمر الذي لا يمكنك تجنبه، ستحزنين وتكتئبين. ليس لأنك تحبينه، بل لأنك سوف تتحسرين على ركام قديم. وهذا يا عزيزتي ميغان، مضيعةٌ للوقت.»

جلست ميغان صامتة. كرهت أن تعترف بذلك، ولكنه كان مصيباً، على الرغم من أن ذلك يعني التخلي عن عملها الخاص لبقية حياتها. عليها أن تبدأ من جديد بعيداً عن لندن، إلى مكانٍ حيث لا ترى أوسكار إلا نادراً. بدأت التفكير بالأمر، حين قاطعها رفيقها بهدوء: «انسي الأمر، وتمتعي بيومك. سأنعطف نحو الطريق الداخلية، حيث السكينة والهدوء. ماذا تنوين أن تفعلي؟»

«أعمل في الحديقة، وأتمشى قليلاً مع ميلاني، وأتناول طعاماً كثيراً على ما أظن.»

كانا يسلكان الطريق الريفي، بأشجاره ومروجه الجميلة المترامية على الجانبين، كانت السماءُ زرقاءَ، ولكن الهواءَ كان بارداً ولاحت غيوم في الأفق.

«إنه طقسٌ جميلٌ للمشي ولن يضيرك أن تاكلي كثيراً فقد خف وزنك.»

كانت نبرة صوته غير شخصية، كصوت أي طبيب وهو يسدي نصائح إلى مريضه. ونظرت ميغان من النافذة، ولم تنتبه لنظرته وابتسامته السريعتين.

وصلا البيت في العاشرة والنصف، لم تقل لأمها إن الأستاذ سيوصلها. فقد كانت مصممةً حتى اللحظةِ الأخيرة على أن لا تاتي معه. على كل حال، لم تظهر السيدة رودنر أي اندهاش عندما رأت السيارة. خرجت من البيت لملاقاتهما، فحضنت ابنتها وسلمت على الأستاذ.

«كم هو جميل أن نراك ثانيةً. هذه المرة ستبقى لتناول القهوة.»

رافقتهما إلى البيت. «هل أنت متاكد أنه ليس عليك العودة بسرعة؟»

ابتسم لها: «لا، يا سيدة رودنر.»

«رائع، ابق على العشاء.»

كانا في غرفة الاستقبال حين سألت ميغان: «أين ميلاني؟»

«إنه يوم الجمعة، يا عزيزتي، موعد ترتيب الأزهار في الكنيسة، ستعود قريباً. لقد أخبرتك أنها وأوسكار سيقابلان الأسبوع المقبل والديه؟»

شحب لون ميغان قليلاً ولكن بقي صوتها ثابتاً: «أتمنى

أن تعجب بها السيدة فيلدينغ على الرغم من صعوبة ذلك. هل تريد ميلاني تمضية الليلة قبل أن يذهبا؟»

«أظن أن أوسكار تدبر الأمر فسيمر بها في طريقه.» ثم قالت للأستاذ: «هل تحب العيش في إنكلترا؟ لغتك الإنكليزية ممتازة جداً لدرجة أنني أنسى أنك هولندي. هل تذهب إلى بلدك دائماً؟»

«آه، دائماً. فأنا مولع بالريف، قضيت وقتاً طويلاً هنا، فمن السهل علي أن آتي وأذهب دائماً.»

«هل تعمل في المختبر هناك أيضاً؟»

«أجل وفي مركزٍ استشاري، تماماً كما في الريجنت.»

«لا بد أن حياتك مليئة بالمشاغل، حياة ميغان ممتلئة أيضاً، وأظن أحياناً أنها ممتلئة أكثر من اللازم. إنها بحاجة للتغيير.»

هذا عظيم، فخلال ساعتين، يريد شخصان منها أن تغير حياتها، فلا ينقصها الآن سوى شخصٍ ثالث، وسوف تقتنع بالفكرة.

وقفت السيدة رودنر قائلةً: «حسناً، يا أعزائي، أنا ذاهبة لاعداد الغداء. لا، ميغ، لا أريد مساعدتك، ولكن يمكنك الذهاب إلى القرية، لِتَري إذا استلمت السيدة سلوكومب البسكويت بالجبنة، ويمكنك أن تمري على ميلاني في طريق عودتك. ميغ، خذي الأستاذ معك، قد يحب أن يرى القرية.»

«ربما من الأفضل أن يجلس في الحديقة.»

أشار بصوته الهادئ إلى أنه أمضى الصباح جالساً في السيارة: «بعض التمرين سيفيدنا نحن الإثنين.»

كانت القرية على بعد عشر دقائق مشياً. كانت الطريق

جميلة فعلاً بمروجها وحقولها الخضراء، التي كانت الخراف والنعاج ترعى عليها.

«هذا رائع.» توقف الأستاذ قليلاً ليستنشق الهواء العليل وقال: «أليس عندكم كلب؟»

«جانوس، إنه مع أبي. ميلاني تريد جرواً وبما أنها ستتزوج قريباً، فستأخذه معها. أمي تريد واحداً أيضاً ولكنها تفضل الانتظار حتى تذهب ميلاني.»

«ما نوعه؟»

«كان لدينا سبانيل. كانت جميلة جداً، أسميناها فلوسي. ولكن كان يجب أن نختار نوعاً آخر حتى لا يذكرنا بها كثيراً.»

«بالطبع.» وصلا متجر السيدة سلوكومب الذي يُستخدم كمكتب بريد أيضاً وكمركز لإطلاق الشائعات والفضائح في القرية. قالت ميغان العالمة تماماً بما سيحصل عند رؤيتهما معاً: «أظن أنه من الأفضل أن تنتظر خارجاً.»

لم يَعزْ ملاحظتها أي اهتمام على الرغم من أن المتجر كان يعج بالناس.

حالما دخلا المتجر لفتا نظر الجميع. سألت السيدة سلوكومب: «هل أنتِ في عطلةٍ يا آنسة ميغان؟»

«ليوم واحد فقط يا سيدة سلوكومب.»

«عزيزتي، لقد أحضرت صديقاً معك، أليس كذلك؟»

«شخصاً من المستشفى كان لطيفاً جداً، فأقلني.»

«هذا لطيف.» وافقتها السيدات على ذلك محدقات إلى الأستاذ الذي كان يقف مبتسماً للجميع بارتياح.

«آنسة ميغان، أظن أنك مستعجلة نظراً لعطلتك القصيرة.

أعتقد أن السيدة تومسون لن تمانع إذا خدمتك في الحال.»

«هذا لطف منك. أرادت أمي أن تعرف إذا كان لديك بسكوتاً بالجبنة من النوع الذي تشتريه عادةً.» احمرت ميغان قليلاً عندما سمعت الأستاذ يخبر السيدة تومسون عن الربيع الرائع الذي يتمتعان به. كانت متأكدة أن هذا الحديث لن يتوقف عند ذلك الحد. وهذا ما حصل فعلاً فقد سألته السيدة تومسون عن مسقط رأسه، وعندما قال: «أنا من هولندة.» صفرت باهتمام مما لفت نظر الجميع.

«إذن أنت في زيارة.»

أكد لها أنه يعيش منذ سنينٍ طويلة في لندن. «أنا لم أذهب إلى لندن أبداً. طبعاً أنت تعرف الآنسة ميغان.»

«نعم، اعرفها.» أجاب الأستاذ.

«أظن أنك ستبقى للغداء. لا بد أنكما أتيتما في سيارة.»

«أجل، هذه القرية بعيدة عن ازدحام السير، أليس كذلك؟ يا له من مكان ساحر.»

تأخرت السيدة سلوكومب في ايجاد البسكويت ووضعه في الكيس وتأخرت أكثر في إعطاء ميغان باقي المال.

شكرتها ميغان بأدب وتمنت يوماً سعيداً للجميع ثم خرجت مع الأستاذ، ولكن سمعت ثرثرة قبل أن تغلق الباب.

«لقد طلبت منك أن تبقى خارجاً. هذه قرية صغيرة، يصدق جميع من فيها أخبار بعضهم البعض ويختلقون المزيد.» قالت بغضب.

«ولكن ليس لدينا شيء لنخفيه.» أخذ منها البسكويت واضعاً يده تحت مرفقها وسارا باتجاه الكنيسة.

قالت بحدة: «لم أعنِ ذلك.» ثم أضافت حين ضحك: «أرجوك، كن جدياً...»

وقف وسط الشارع على مرأى الجميع وقال: «عزيزتي ميغان، لا تكوني حمقاء وتفسدي يومي هذا. فقد استمتعت حتى الآن بكل لحظةٍ منه.»

لم تنظر إليه، بل أكملت طريقها شامخةً رأسها عالياً، لدرجة أنها لم ترَ طريقها فتعثرت، ساعدها الأستاذ على الوقوف قائلاً: «ها هي ميلاني. هل تعتقدين أنها جاهزة؟»

لم يكن هناك داعٍ للإجابة. فقد سارت باتجاههما وهي تكاد ترقص فرحاً غير مبالية بزوجة الكاهن التي كانت تحدق إليهما، والتي انفرجت أساريرها عندما رأت ميغان فسارت باتجاههم بوجه فضولي.

قالت زوجة الكاهن قبل أن تحييها ميغان: «عزيزتي ميغان، لقد صُدمت لسماع أخبارك. أنا متأكدة من أن الجميع يتمنون السعادة لميلاني.»

هنا نظرت إلى الأستاذ مضيفةً: «هل تستضيفون زائراً؟»

قالت ميغان بسرعة: «إنه شخصٌ أقلني إلى البيت. هل تمانعين إذا اخذت ميلاني؟ سنتناول الغداء باكراً، إلى اللقاء سيدة بروستر.»

ابتسمت ميغان وهي تصطحب أختها بسرعة قبل أن يتمكن أحد من قول المزيد. «إنني هنا ليومٍ واحد فقط، فأرجو أن تعذرينا إذا لم نتوقف.»

قالت للأستاذ حين غابوا عن الأنظار: «آسفة، كان يجب أن أقدمك، ولكن لو فعلت ذلك كنا سنقع في ورطة... أتفهم؟»

قال متابطاً ذراع ميلاني: «كان بإمكانك أن تقدميني كعم، أو كصديقٍ قديم لوالدك.»

«لست مسناً كفاية على الرغم من أني أظن...»

صرخت ميلاني: «ميغان، كيف يمكنك إقتراح ذلك؟ ما زال الأستاذ شاباً.» نظرت إليه مضيفةً: «أنت شاب، أليس كذلك.»

«تقريباً، ميلاني أنت تسلبين قلبي، فأنت لم تلاحظي حتى شعري الأبيض.»

ضحكت ميلاني، وهكذا استمر طوال الطريق في ملاطفتها. قالت ميلاني عندما كانوا يعبرون الحديقة: «سأمكث مع أهل أوسكار.»

«أجل حبيبتي، أعرف ذلك. لقد أخبرتني أمي. لم تحبني السيدة فيلدينغ، ولكنني متأكدة من أنها ستحبك، أما والده فبإمكانك أن تجعليه مثل خاتم في إصبعك.»

توقفت ميلاني وهي تنظر إليها: «أنت ألطف أخت في العالم. ولكنك تبدين شاحبةً ومرهقة. تحتاجين لتغيير. لِمَ لاتتركين ذلك المستشفى القديم وتفعلين شيئاً آخر؟»

«آه، عزيزتي، أنتِ ثالث شخص ينصحني بترك عملي. أنت لا تعنين ذلك، أليس كذلك؟»

لم تجب ميلاني لأن أمها خرجت لملاقاتهم.

«هل أحضرت البسكويت؟ جيد. أستاذ، ما رأيك بقريتنا؟»

«رائعة، وأهلها ودودون.»

رمقته ميغان بنظرة، ولكن لم يَبْدُ على وجهه الجميل سوى علامات الإستمتاع.

قالت ميلاني: «إنهم فضوليون. كانت السيدة بروستر في الكنيسة... سأستجوبها عندما أراها ثانية ولكني لن أنال

منها جواباً، وهذا مرده إلى ضخامة جثتك.» ابتسمت إلى الأستاذ دون وجل، فحدقت إليها ميغان بتعجبٍ وفرحٍ في آنٍ معاً. قد يكون رجلاً مُتعِباً، إلا أنه يعرف كيف يجعل ميلاني تتصرف على سجيتها. على الرغم من أن معظم الممرضات في المستشفى قد يفعلن أي شيءٍ لتجنبه.

دخلوا جميعاً إلى البيت، وبما أنهم كانوا يتناولون موضوعاً مثيراً، تمكنت ميغان من متابعة تأملها. إنه رجلٌ لامع ونكي، لا يرضيه غير الكمال. لذلك من الطبيعي أن يغضبه الغباء والإهمال وعدم الكفاءة كثيراً، ولكنه يسيطر على أعصابه كعادته، هزت ميغان رأسها راضيةً عن استنتاجاتها، ووجدته يحدق إليها. مستحيل أن يكون عرف ما يدور في رأسها. على أية حال، احمرت قليلاً وذلك جعله يبتسم.

عاد والدها من عمله للغداء الذي تناولوه في غرفة الطعام بأثاثها الثقيل والمصقول جيداً. برعت السيدة رودنر في تحضير وجبة الطعام، المؤلفة من شرائح لحم مع طحال وبطاطا خفيفة، بالإضافة إلى سبانخ مع جزر وفطيرة تفاح مع كريما. قالت عندما مدح الأستاذ الفطيرة الشهية: «آه، أنا سعيدةٌ لأنها أعجبتك. ليست خفيفة كفاية. ميغان بارعةٌ في اعدادها أكثر مني.»

نظروا جميعاً إلى ميغان التي تمتمت شيئاً، وبدأت بتنظيف الطاولة وتقديم البسكويت والجبنة. إستمتع الأستاذ بالغداء، وانسجم مع والدها على الرغم من أن الحديث كان عاماً وغير جدي. عندما انتهيا من تناول القهوة وقف السيد رودنر قائلاً: «يجب أن أعود إلى المكتب، هل ستكون هنا عندما أعود حوالي الساعة الخامسة؟»

«لن نذهب قبل الثامنة فقد دعتني زوجتك للبقاء على العشاء.»

«عظيم. سنجد وقتاً لتبادل الأحاديث.» ربت على كتف ميغان مضيفاً: «هذا ما تحتاجينه عزيزتي. أنت شاحبة جداً، لا بد أن وزنك خف؟ لن ينفعك ذلك، أتعلمين؟ يجب أن تبتعدي عن المستشفى، وأن تتعرفي على مناطق جديدة. حسناً، يجب أن أذهب، تمتعي بنهارك.»

بخلاف توقعاتها، أمضت ميغان نهاراً ممتعاً بالفعل. فقد طلب الأستاذ منها أن تأخذه كي يرى الريف. وهكذا انطلقا في نزهةٍ مصطحبين جانوس معهما.

قالت ميغان وهما في الطريق إلى الغابة: «لا يزال يفتقد فلوسي.»

وصلا الغابة الخضراء الرائعة الجمال فقالت وهي تنظر إلى جانوس فيما كان يستكشف جحر أرنب: «هذه غابة نب.»

قال بصوتٍ خفيفٍ جداً: «حيث أتيت مع أوسكار بالتأكيد.»

شعرت ميغان أنه كان عليها أن تشعر بالإستياء ولكن على الرغم من شعورها بالندم أجابته بطريقةٍ طبيعيةٍ جداً: «أجل، إنها بقعةٌ جميلة، أليست كذلك؟»

تمشيا لأميالٍ عدة ثم عادا وتناولا شاياً مع عوامة بالمربى والكريما بالاضافة إلى كعك بالزبدة. قالت السيدة رودنر: «العشاء في السابعة والنصف تماماً. أظن أنكما ستغادران مباشرة بعد ذلك.»

قال الأستاذ: «أظن أنه يجب أن استغني عن العشاء، إذا كان العشاء مثل الغداء فيجب أن أتبع حميةً قاسية.

على كل حال، يمكنني القيام ببعض الحرث في الحديقة.»

ضحكت السيدة رودنر قائلة: «هل تريد ذلك حقاً؟ إذن أحضر الرفش وميغان سترشدك. هناك جزء من حديقة المطبخ بحاجة إلى حرث، لكنه عملٌ شاق، هل أنت متأكد؟»

خلع السترة قائلاً: «إنه تغيير عن الجلوس في المكتب، أو النظر من خلال مجهر. هيا بنا يا ميغان.»

أعطته الرفش قائلة: «ستفسد بنطالك.»

«لدي غيره، تعالي وحدثيني فيما أعمل.»

«سأزرع الجزر.» ارتدت قفازين وبدأت تعمل وهي تراقبه بطرف عينها.

كان يعمل وهو يتكلم من دون أي جهدٍ واضح، في موضوعٍ لطيف وغير معقد. شعرت بشيءٍ من رضىً افتقدته منذ انفصالها عن أوسكار. إنضم والدها اليهما، وشارك في الحديث فيما كان يجلس على عربة يد ويدخن الغليون بارتياح، لقيام أحدٍ غيره بهذا العمل الشاق. أنجزا نصف العمل قبل أن يُدعيا لتناول العشاء. وفيما كان يساعد ميغان في توضيب المعدات قال الأستاذ: «يا له من استرخاءٍ رائع.» أضاف وهو ينظر إلى وجنتيها الموردتين: «كنا نحن الإثنان بحاجة إليه.»

سبقته ميغان لتغتسل وترتب نفسها، فتبعتها ميلاني إلى غرفة النوم، وقالت فيما كانت جالسةً على السرير تراقب ميغان وهي تسرح شعرها. «أستاذك لطيف جداً.»

«إنه ليس لي يا حبيبتي، فعندما نعود إلى الريجنت سيتجاهلني عندما نلتقي. على كل حال، تعرفين أنه متزوج.»

«أمرٌ مضحك، أعني لا يبدو كرجلٍ متزوج، أليس كذلك؟»
وقفت قرب ميغان وأضافت: «كم أتمنى أن يحباني والدا أوسكار...»

«عزيزتي، سيحبانك. أنا متأكدة من ذلك. أتعرفين؟ أوسكار يحبك فعلاً، وعندما يلاحظان ذلك سيحبانك أيضاً.»

«ألهذا السبب لم تعجبي السيدة فيلدينغ؟»

«أجل، أعتقد أن هذا هو السبب.»

«ميغان، أنت لست تعيسة؟»

«لا يا حبيبتي، أعدك بذلك.»

«آه، رائع. فأنا وأوسكار لن نرضى بذلك. لا زلت أظن أنه من الأفضل أن تغيري عملك، شاهدي العالم، قابلي الناس...»

ضحكت ميغان قائلةً: «ميلاني، تتكلمين وكأنكِ أمي! من يدري ما قد أفعل، سأرى.»

نزلا فوجدا الجميع في غرفة الاستقبال يحتسون الشراب. بدا الأستاذ وكأنه في بيته تماماً.

غادرا الساعة الثامنة. بعد أن تناولا العشاء بشهية.

لم تتردد ميغان في مغادرة البيت مثل هذه المرة. ولم يتكلما في طريق العودة كثيراً، إذ لم يكن هناك حاجةٌ للكلام. جلست ساكنة بعد ذاك العشاء اللذيذ. سلك الأستاذ الطريق السريع، حيث كان السير خفيفاً. صحت ميغان عندما وصلا أطراف المدينة، ولكنها التزمت الصمت إلى أن وصلا الشقة.

بدا الشارع كئيباً والشقة موحشة.

«أتريد كوباً من الشاي أو القهوة؟» أخرجت ميريدث من

السلة وأضافت: «شكراً جزيلاً لأخذي واعادتي إلى البيت. كان يوماً جميلاً.»

وقف ينظر إليها وقال: «لم تتعافي بعد، أليس كذلك؟ نامي جيداً ميغان. كان يوماً جميلاً بالنسبة لي أيضاً. تصبحين على خير.»

لم تره بعد ذلك لعدة أيام، إلى أن طلبه السيد برايت ليكلمه عن الجناح، حين دخله صامتاً. نظرت ميغان إلى عينيه الباردتين وهي ترد تحية الصباح، فأحست بتلك الرهبة التي تشعر بها الممرضات تجاهه. من الصعب أن يكون الرجل نفسه الذي وقف في متجر السيدة سلوكومب يرد على السيدة تومسون بلطف.

قابلت أوسكار كثيراً في الأيام التالية فبعد أن نسي موقفه المربك بعد فسخ خطوبتهما، أصبح يكلمها بانطلاق كأخت زوجته المستقبلية، عن مشاريعه وعن كمال ميلاني. وافقته ميغان على ذلك. فميلاني كانت فعلاً فتاة رائعة. شعرت ميغان بالسعادة لرؤية أختها سعيدة، إلا أنها وجدت صعوبةً في الإستماع إلى مشاريع كان من الممكن أن تخططها مع أوسكار لمستقبليهما. طبعاً، هذا لا يعني أنها تتمنى الزواج منه، فقد لاحظت أن شعورها تجاهه كان مجرد انجذاب وإعجاب عميقين. وهي لا تزال تشعر بذاك الإعجاب. فهو شخص محبوب من الجميع لطبيعته الهادئة واللطيفة، مما يجعله مناسباً جداً لميلاني. بدأت ميغان تفكر جدياً بإيجاد عملٍ آخر، فهي ليست مستعدة لأن تأخذ فرصةً طويلةً وتبدأ من جديد. هذا ما قالته ميغان لميريدث، بعد أن أخبرها أوسكار عن عطلته الرائعة التي أمضاها مع ميلاني

في بيت والديه. قال لها وكأنه يعتذر إن ميلاني كانت رائعة ونالت إعجاب والديه.

قالت ميغان لميريديث: «إنه الشيء الذي لم أنله أنا في الحقيقة، لا أظن أني أنال إعجاب أحد.»

كانت ميغان تبحث في الخزانة عن شيءٍ للعشاء، عندما قرع الباب. قد يكون أحد من المستشفى، ولكن كان بإمكانهم الاتصال. فتحت الباب لتجد الأستاذ أمامها.

«آه، مساء الخير أستاذ.»

«أريد التحدث معك ولكن ليس هنا. ربما قد تأتين معي لتناول الطعام.»

«عمّ.»

«إذا أتيت معي، سأخبرك.»

لاحظت نفاد صبره ولكنها قالت: «كنت على وشك أن أتناول العشاء.»

دخل الشقة ليتفحص المطبخ. وعندما لم يجد شيئاً، رفع حاجبه مستفهماً، فقالت بسرعة: «كنت على وشك اخراجه من الخزانة، ولا أعرف في الواقع لماذا يجب أن أفسر لك أي شيء.»

قال بهدوء: «هندامك مناسب، ضعي معطفاً عليك فقط، فلن نذهب بعيداً.»

بدأت بالإحتجاج: «لا...» ولكن عندما نظرت إلى عينيه، تمتمت: «آه، حسناً، إذا أصررت. هل حدث أمرٌ مريع في المستشفى؟ لقد أرسلت كل العينات التي طلبت.»

«إذا كان الأمر متعلقاً بالمستشفى أو بعملك لكلمتك في المستشفى.»

جلبت ميغان معطفها، وطلبت من ميريديث أن يحسن التصرف، وقالت: «أنا جاهزة.»

رافقها الأستاذ إلى الخارج، وأقفل الباب، ثم دخل السيارة، ولوح بأدب لبعض الجيران الذين كانوا ينظرون من النوافذ. قاد السيارة إلى طريق مايل إند ثم عبر المدينة باتجاه جسر بوتني فإلى ريتشموند.

«لماذا أحضرتني إلى هنا؟» لم يتكلما طوال الطريق. فقد كان الأستاذ مستغرقاً بأفكاره كما كانت هي كذلك.

«أنا أعيش هنا.» كان يقود الآن في شارع هادئ، مأهول ببيوت كبيرة مطلة على النهر. توقف أمام البيت الأخير وخرج من السيارة وفتح لها الباب. فعل كل شيء بكثيرٍ من الهدوء ولكنه لم يقل شيئاً.

توقفت ميغان أمام المدخل وسألت: «لما لم تخبرني؟ هل هو سر؟»

«ظننت أنه لو أخبرتك أني سأصطحبك إلى بيتي كنت سترفضين.»

«أنت محق.»

ابتسم قائلاً: «أرأيت؟» وضع يده تحت مرفقها وقال: «هلاّ دخلنا؟ أنا جائع أرجو أن تكوني كذلك.»

فتح الباب وقادها إلى الصالة. وفي الوقت نفسه فُتح باب داخلي وظهر رجل سمين بشعرٍ أبيض وعينين صغيرتين. يرتدي بزةً سوداء أنيقة. ألقى تحية المساء على الأستاذ وانحنى لميغان مكرراً التحية نفسها بصوت رزين.

قال الأستاذ: «أقدم لك ثرامبل. هو وزوجته يعتنيان بي،

ثرامبل، دعوت الآنسة رودنر لتناول العشاء. أخبر السيدة ثرامبل، وخذ معطف الآنسة رودنر من فضلك.»

حدقت ميغان بغضب إلى الأستاذ. فقد انزعجت من اصطحابها بلا سابق إنذار على هذا النحو، وقد انزعجت منه أكثر، لأنها كانت ترتدي قميص قطنٍ مع تنورة جيرسي عاديين. صحيح أنها تبدو جميلةً، حتى لو ارتدت كيساً من الخيش، لكنها كانت تفضل أن تكون متأنقة دائماً.

قادها الأستاذ عبر الصالة إلى غرفةٍ واسعة بنوافذ كبيرة مطلةٍ على النهر. كانت غرفةً جميلة بأثاثها الأنيق، المؤلف من خزانةٍ رائعة بطول الحائط، وطاولة مع كنبة من المخمل خوخية اللون، بالإضافة إلى طاولة من خشب الموغانو مغطاة بمفرش حريري مقصب، خوخي اللون. كان هناك أيضاً كراسٍ أنيقة وإلى جانبها مصابيحُ موضوعةٌ على طاولات صغيرة.

قالت ميغان: «أنت لا تعيش هنا، أليس كذلك؟» احمرت لسخافة سؤالها فأضافت: «ما أعنيه بمفردك؟»

قدم لها الأستاذ كرسياً وذهب ليشعل المدفأة. كان هناك قط أمام المدفأة فانحنى ولاعبه.

«أجل، أعيش هنا بمفردي باستثناء آل ثرامبل. ورثت هذا البيت منذ زمن وعندما أكون في لندن أقطن هنا. أقر أنه كبير جداً عليّ ولكن يمكن معالجة ذلك.»

«آه، أجل، عندما تأتي زوجتك وأولادك للعيش هنا.»

«كما تقولين، عندما تأتي زوجتي وأولادي هنا.»

جلس بقربها على الكرسي فقالت: «كنت تريد التحدث معي عن شيءٍ ما.»

«أجل يا ميغان، أنت بحاجة للابتعاد. تعرفين هذا، أليس كذلك؟ أظن أنه بإمكاني مساعدتك، فأنا عضو مجلس إدارة أحد المياتم في هولندة، الذي يأوي أربعين طفلاً من الصبيان والبنات، وتتراوح أعمارهم بين ثلاثة أشهر وإثنتي عشرة سنة...» فتحت فمها لتتكلم فرفع يده الكبيرة قائلاً: «لا، دعيني أكمل. لديهم طاقم كامل، ولكن إحدى الممرضات غادرت إلى كندا لزيارة أهلها. ستغيب حوالي ستة أسابيع. ستقومين بمهامها بكل جدارة، فيما تفكرين بالخطوة التالية.»

«ولكنني لا أتكلم ولا أفهم كلمةً من اللغة الهولندية.»

«الأطفال يتجاوبون مع أي لغة، ثم أن الطاقم يعرف ما يكفي من الإنكليزية لتتفاهمي معه. المعاش أقل مما تتقاضينه هنا، ولكن الميتم مؤمن بكل شيء، فلن تحتاجي لشيء. الميتم يقع على الساحل، شمالي أمستردام، في قرية صغيرة قرب مدينة كاستريكوم. الأولاد يذهبون إلى مدرسة القرية، ولكنك ستهتمين بالرُضَّع والأطفال، وستحصلين كالعادة على ساعات فراغ ويوم في الأسبوع. وكما قلت، الوظيفة لمدة ستة أسابيع تقريباً.» وقف قائلاً: «فكري بالأمر فيما أحضر لك شراباً؟»

أخذت الشراب قائلةً: «لا يمكن أن أتخذ قراري بهذه السرعة، وفي أي حال، لا أظن أنها فكرة جيدة، ثم أنك فاجأتني بالموضوع.»

«لقد قصدت ذلك، هل كان يومك منهكاً في الجناح؟»

ردّت إيجاباً وأضافت: «ما المفروض أن أفعله عند انتهاء الستة أسابيع؟»

«إنني مؤمن بأن على الإنسان أن يغتنم الفرص عندما تسنح له. آه، هذا هو ثرامبل ليعلمنا أن العشاء جاهز.»

تقدمها عبر الصالة إلى غرفةٍ أصغر تطل على النهر. كانت غرفةً أنيقة بطاولةٍ مستديرة من خشب الموغانو تتسع لثمانية أشخاص وكانت الكراسي أيضاً من الخشب نفسه. أما الجدران فكانت مكسوة بحريرٍ أخضر بالإضافة إلى صور كثيرة، وستائر خضراء مخمليةً موشاة بالأحمر، ومربوطة إلى الوراء بشرائط حمراء تتناسب مع السجادة تماماً. أعجبت ميغان كثيراً بالغرفة، والفضيات والزجاجيات اللامعة الموضوعة على الطاولة.

كانت السيدة ثرامبل طاهية ماهرة. تناولت ميغان الطعام بشهية، فيما كانت تتحدث عن أشياء لا علاقة لها بعرض الأستاذ المفاجيء، لم يأتِ هو أيضاً على ذكر الموضوع. يا له من رجل متعب، فكرت بذلك وهي تحتسي القهوة في غرفة الاستقبال، على كل حال يجب أن تتكلم في هذا الموضوع، وترفض بالطبع...

قطع حبل أفكارها قائلاً: «هل لديك عطلة؟»

«أجل، ثلاثة أسابيع. اضطررت لإلغاء أسبوع من اجازتي في شباط. فقد كانت جيني مريضة وكنا مشغولين. لذلك سيضاف ذلك الأسبوع إلى الأسبوعين الحاليين.»

«مما يعني أن بإمكانك المغادرة آخر الأسبوع.»

قالت ميغان بسرعة: «من قال إني مغادرة؟»

«أنا. فأنت تعلمين أن هذا ما تودين فعله، لكنك خائفة أن تتركي حياتك البائسة وتحاولي من جديد.»

كان يبتسم، فشعرت برغبةٍ في رمي نفسها على صدره والبوح بكل ما يقلقها. قالت بتردد: «هل تظن فعلاً أنها فكرةً جيدة؟»

«لما كنت اقترحتها. ولكن يجب أن تقرري بنفسك يا ميغان.»

«يجب أن أعرف أكثر عن هذا العمل.»

«طبعاً، اسكبي مزيداً من القهوة وسأخبرك.»

أعطاها كل التفاصيل والأجوبة التي تريدها. ربما كانت فكرة جيدة. فقد نصحها أربعة أشخاص على الأقل بترك الريجنت...

قالت فجأة: «وميريدث؟»

«يمكن أن يعتني به والداك؟ أو يمكنه البقاء هنا. السيدة ثرامبل لديها قطة عجوز، اسمها تبي، ستفرح برفقته. وإذا رجعت يمكنك استعادته أينما كنت.»

«لديك حل لكل شيء.»

«أفعل ما بوسعي. سأذهب خلال عشرة أيام، إلى هولندة ويمكنك أن ترافقيني إذا أردت. أعلميني في الصباح، ما رأيك؟ فكري بالأمر.» جلس على الكرسي بارتياح وأضاف: «أخبريني، متى سيتزوج ميلاني وأوسكار.»

اصطحبها إلى البيت ولكنه لم يمكث بل اقترب منها فجأة عندما كانت تودعه وعانقها. وجعلها ذلك لسبب ما تقبل عرضه بالوظيفة الجديدة.

الفصل السادس

استيقظ ميريديث، وأصغى لميغان بينما كانت تشرح له أنه قد ينتقل في وقتٍ قصيرٍ إلى بيتٍ جديد: «إنه أمر مؤقت. وعندما أعود سأجد عملاً آخر وتعود لي. سأشتاق إليك.»

حضنته بينما حاول التملص. ولكنه تسلل إلى السرير عندما استلقت عليه ونام بقربها.

لم تعرف كيف ستبعث برسالةٍ إلى الأستاذ. يمكنها أن تترك ملاحظة مع البواب، ولكن ذلك لن يبدو لائقاً. كانت من ناحيةٍ أخرى مشغولة جداً، كي تذهب إلى المختبر وتخبره شخصياً. على كل حال، حل السيد برايت المشكلة، إذ طلب خلال جولته على الجناح نتائج تحاليل لأحد المرضى من المختبر: «ميغان، اتصلي بالأستاذ ڤان بلفيلد وتأكدي إذا كانت النتائج جاهزة.»

بدا صوت الأستاذ بارداً من خلال الهاتف وهو يقول: «الأستاذ بلفيلد، نعم؟» أبلغته رسالة السيد برايت. فقال لها إن التقارير سترسل في الحال: «قولي للسيد برايت إنها غير كاملة، سأقابله بشأن ذلك لاحقاً.»

قالت بسرعة: «شكراً سيدي.»

«هل ستقبلين الوظيفة في الميتم؟»

«في الحقيقة، أنا مشغولة والسيد برايت ينتظر...»

«لن يلزمك أكثر من ثانية لتقولي نعم أو لا.»

اجابته غاضبة بنعم، ولكنها تمنت بعد هنيهةٍ، لو أنها لم

تقل ذلك، لم يكن عدلاً منه أن يستعجلها هكذا...، قال قبل أن يقفل الخط: «أراك هذا المساء.»

عادت إلى الجناح، حيث كان السيد برايت ينتظر. كان لونها متغيراً وعيناها لامعتين فسألها: «هل ضايقك أحد؟ ألم تجهز التقارير بعد؟»

«لقد بعثوا بها سيدي، ولم يضايقني أحد، شكراً.»

«قليل من الغضب يزيد من جمالك يا ميغان.» احمرت وجنتاها عندما قال ذلك.

بعد انتهاء جولة السيد برايت، عادت ميغان إلى مكتبها. كان ذلك قبل عشر دقائق من وصول عربات العشاء، إذ أنه لم يمنحها وقتاً كافياً لتنظم لائحة عطل الأسبوعين المقبلين. أمسكت القلم ثم وضعته ثانيةً. فقد تذكرت أن الأستاذ سيأتي إلى شقتها هذا المساء، وعليها أن تقدم له قهوة على الأقل. أما بالنسبة للعشاء، فقررت أن تحضر سلطة بالإضافة إلى بعض اللحم الموجود في الثلاجة. إنها وجبةٌ خفيفة، تستطيع أن تطبخها بسرعة بعد رحيله، فهي لا تعلم في أية ساعةٍ سيأتي. لم تكن قد فعلت شيئاً بلائحة العطل عندما أتت جيني لتعلمها أن عشاء المرضى قد أصبح جاهزاً.

كانت جيني في إجازة ظهر ذلك اليوم فسألت ميغان: «هل أنت خارجة يا جيني؟» عندما ردت بالإيجاب سألت ميغان: «هل تشتري لي بسكويتاً، فلم يعد لدي شيء منه، والمتجر يكون دائماً مزدحماً في الوقت الذي أذهب إليه. لا أريد شيئاً معيناً.»

«هل تريدين نوعاً للضيافة؟»

كانت ميغان ترتدي معطفها أمام المرآة حين قالت: «على الأقل، مع نوع كهذا من البسكويت، اتجنب الإحراج لأنه أحياناً ياتي بعض الزوار لتناول القهوة، ولا يكون عندي شيء حينها لأقدمه لهم.» ذهبت إلى الجناح لتقدم العشاء إلى المرضى، ثم تناولت وجبتها وهي تتحدث عن أحدث الموضات بكثيرٍ من الإنطلاق، مما جعل زملاءها يعتقدون أنها تعافت من أزمتها مع أوسكار.

قال أحدهم بعد أن عادت ميغان إلى جناحها: «تبدو ميغان وكأنها متحمسة لشيءٍ ما.»

من ناحيةٍ أخرى لم ترد ميغان أن تتحمس على الإطلاق، فهي دُفعت للقبول بوظيفةٍ لم تكن تريدها في الأصل. إذا كان عليها أن تترك وظيفتها، فسيتحتم عليها الحصول على وظيفة أخرى، تكون موازية لوظيفتها الحالية أو أحسن منها. هذا ما ستقوله للأستاذ، عندما ياتي هذا المساء. كانت مشغولة جداً بعد الظهر لتفكر بخطاباتٍ ملائمة، ولكنها استعدت لبعض الإعتذارات اللطيفة، وهي في طريق عودتها إلى الشقة بعد انتهاء الدوام. وعندما وصلت إلى البيت، تدربت عليها بصوتٍ مسموع فيما كانت تعد الشاي. ستكون هادئةً ومهذبةً وتشكره على اهتمامه، ثم ستقدم له فنجان قهوة وبسكويتاً. بعد أن نسقت أفكارها بشكل جيد، أحضرت الفناجين وإبريقاً من الحليب ووضعت بعضاً من البسكويت في صحن. ثم تناولت قطعتين منه مع الشاي، فموعد العشاء ما زال بعيداً.

سرّحت ميغان شعرها وجمّلت وجهها، إلا أنه لم يظهر، لذلك بدأت بغسل بعض الثياب في الحوض، لو أنه غادر

المستشفى في وقته المعتاد لكان وصل الآن. ربما ذهب إلى بيته أولاً ليتناول وجبة شهية. مجرد التفكير بذلك جعلها تشعر بالجوع فأكلت بسكوتة أخرى، كانت يداها مبللتين بالصابون والماء عندما قُرع الباب. فأخذت منشفة وذهبت لتفتح الباب وهي تجفف يديها.

فتحت له الباب ثم حيّته وقالت: «هل ستكون السيارة بأمان؟» تنحى جانباً كي ترى أربعة صبية يجلسون داخلها.

«إنها في أيادٍ أمينة. ألم تكوني تتوقعين مجيئي؟»

شعرت بقليل من الحرج فقالت: «بالطبع، ولكنك لم تقل متى ستأتي، ولدي بعض المهام المنزلية التي يجب أن أقوم بها. في أية حال، لقد تأخرت.»

لم يقل شيئاً ولكن لمعت عيناه عندما حملت ميريدث.

«أرجوك إجلس، أتريد فنجان قهوة؟»

«طبعاً.» أخذ منها القط ووضعه على ركبتيه قائلاً: «كم أصبح رائعاً هذا القط.»

وضعت الحليب والقهوة بسرعة فيما كانت تفكر إذا كان عليها أن تتكلم الآن أو تنتظر حتى يُنهي القهوة، قد يكون متفهماً أكثر بعد أن يتناول القهوة، لذلك قررت أن تنتظر، فقدمت القهوة والبسكويت.

«آه، هذا نوعي المفضل من البسكويت.» تناول كل البسكويت الموجود في الصحن.

سكبت مزيداً من القهوة ووضعت باقي البسكويت الذي عندها في الصحن. حين تناول معظمه أيضاً، قفز قلبها من صدرها فسألت: «أتريد بعض السندويشات؟»

«لم يكن لدي وقت للغداء.» بدا وكأنه يتضور جوعاً.

«لم أتناول العشاء بعد، يمكنك مشاركتي به إلا إذا كنت ذاهباً إلى البيت. أظن أن السيدة ثرامبل قد أعدت العشاء.»

«علي أن أعود إلى الريجنت قبل الذهاب إلى البيت.»

وقفت قائلة: «لا يوجد لدي سوى لحم بارد وسلطة ولكن بإمكاني تحضير جبنة محمصة.»

«تبدو وجبة شهية. هل أحضّر السلطة أم الجبنة؟»

نظرت إلى الفرن قائلة: «هل تجيد الطهي؟»

«كانت والدتي تؤمن أنه ينبغي على الصبيان أن يعتمدوا على أنفسهم. لقد سلقت أول بيضة في عمرٍ يانع، تحت المراقبة، طبعاً.»

ابتسمت قائلة: «إذا كنت تريد أن تساعدني فعلاً، فاهتم بتحميص الخبز والجبنة.»

كان المطبخ ضيقاً ليسعهما مع ميريدث، لكن الأستاذ لم يتحرك كثيراً، وعلى الرغم من ضخامة جسمه أعدّ كل شيء بارتياح. أما هي فقد التصقت بالحوض، فيما كانت تحضر السلطة. وبعد أن جهز كل شيء، رتبت ميغان الطاولة. لم يك لديها لحم كثير، ولكنها تذكرت بارتياح أنه لا يزال لديها كعك كانت قد أعدته في إحدى الأمسيات، وهو سيشبعه في حال ما زال جائعاً. وبعد أن تناولا الجبنة والخبز المحمص كله، انتقلا إلى اللحمة والسلطة.

قالت ميغان: «أنت تطهي جيداً. ماذا تستطيع أن تفعل أيضاً؟»

«أعد الشاي وأسلق البيض وأقلي اللحم المقدد.»

نسيت ميغان سبب مجيئه، فتحدثا عن موضوعٍ عادي فيما كانا يتناولان القهوة والكعك.

«ميغان، أنت طاهية ماهرة.»

«شكراً، عندما يكون الإنسان جائعاً، في الحقيقة فإن أي شيء يبدو شهياً.»

جلست ميغان، وهي تضع مرفقيها على الطاولة ونقنها بين يديها. شعرت بالرضى، إذ أن الأستاذ كان رفيقاً مسلياً، ولم يك متطلباً، كما أنه يتكلم بصوتٍ هادئٍ ومريح. كانت رفقته ممتعة... وفجأة وقفت وقالت: «أتيت لتستفهم عن موضوع الميتم. لقد قلت إني...»

«غيرت رأيك، في اللحظة التي وضعت سماعة الهاتف في مكانها. هذا طبيعي جداً.»

قالت وهي مستاءة قليلاً: «إذا عرفت ذلك، لماذا أزعجت نفسك وأتيت؟»

«لأنك تصرفتِ كما توقعت، وأظن أنك لو كنت صادقة مع نفسك لاعترفت بضرورة ابتعادك لفترة.»

وعندما بقيت صامتة أضاف: «القرار لك، وأعتقد أن كل التسهيلات ستؤمن لك، نظراً للظروف. هل لديك جواز سفر؟ أجل؟ هل أخبرت أوسكار بنيتك؟ أقترح أن تفعلي ذلك وتراقبي ردة فعله. فإذا كان مرتاحاً ستدركين أنك اتخذت قراراً حكيماً.»

ثم وقف وقال: «يجب أن أعود إلى الريجنت. هل ستذهبين في عطلة نهاية الأسبوع إلى بيتك؟ سأقلك وأعود مساء الأحد لاحضارك.» «لا تقلقي يا عزيزتي، سنحل الأمور دون تدخلنا. شكراً للعشاء، يجب أن نكرره.»

لم تقل شيئاً، فهو لم يمنحها فرصة لذلك، ولكنها قالت

بعد قليل: «سأذهب بنفسي في عطلة نهاية الأسبوع، لكن شكرا على العرض.»

«سأكون هنا صباح السبت في الثامنة والنصف. تذكري أنك ستخبرين أوسكار.» قال فيما تودعه على الباب.

بدأت بالقول: «لم أقرر...»

ولم تكمل كلامها حين تقدم منها وعانقها. وقفت تراقبه وهو يتكلم مع الصبية، ويمنحهم قبل أن يغادر بعضاً من النقود.

قالت لميريدث بعد أن دخلت: «لم أقابل في حياتي رجلاً يزعجني على هذا النحو قط. ولكن لا أستطيع أن أنكر أنه يُعانق جيداً.» ثم قالت بتوتر: «لا، لن أُخدع.»

عندما قابلت في اليوم التالي أوسكار وهي في طريق عودتها من العشاء، أخبرته عن الميتم فكان حماسه للفكرة، في الواقع، محبطاً للعزيمة.

«ما الذي يمنعك؟ أنت لا تريدين أن تمضي حياتك... ميغان أنت تعرفين أنني أحبك، فإذا افترقنا نهائياً لا يعني ذلك أنني لا أهتم بك كأخ، فمن يدري قد تصادفين أشخاصاً مثيرين وتجدين أصدقاء، حتى أنك قد تتزوجين.» قال بحماس.

انزعجت ميغان من كلامه، فقد جعلها تشعر وكأنها عانس، تبحث عن زوج في متوسط العمر.

قالت بصوت بارد: «قد أفعل ذلك.»

عادت ميغان إلى الجناح وهي تشعر بالإحباط. يبدو أن الجميع يريدون إبعادها. ستذهب إلى البيت لتستشير أمها وأباها، اللذين سيقولان لها على الأرجح أنها عاقلة وكبيرة

كفاية، لتتخذ قرارها بنفسها. هذا صحيح تماماً. إذا كان الأستاذ يعتقد أن بإمكانه إقناعها وهما في طريقهما إلى البيت فهو مخطىء. أمضت المناوبة بمزاج سيء، ثم آوت باكراً إلى الفراش، ومن الغريب أنها نامت طوال الليل.

لم يحاول الأستاذ إقناعها، فقد مر بها صباح السبت، ووضع ميريدث في المقعد الخلفي وانطلق. ارتدت ميغان بدلة من الجيرسي قطنية من قطعتين، وبلوزة صفراء ذهبية مع تنورة طويلة صفراء موشاة بالبني. وبما أن الطقس كان متقلباً، ارتدت معطفاً بنياً، نظر إليها الأستاذ بإعجاب عندما فتحت له الباب، ولكنه لم يعلق. لاحظت ميغان نظرته فشعرت بكثير من الإرتياح.

لم يتكلما كثيراً، مما اعطاها وقتاً للتفكير وهي تراقب يديه الكبيرتين المحكمتين على المقود.

لم تعد تذكر متى بدأ يعجبها. صحيح أنه لم يفعل شيئاً ليشجع ذلك، ولكنه كان لطيفاً ومستعداً لمساعدتها عند الحاجة. وهو يتوقع طبعاً أن ينفذ الناس ما يطلبه منهم، إلا أنه بخلاف بعض الرجال الذين تعرفهم، لا يفقد أعصابه أبداً. لا بد أنه عصبي، ولكنه يسيطر على نفسه بارادة فولاذية، مما يفسر تصرفاته الباردة وكلماته اللاذعة عندما يكون غاضباً، لم ينظر إليها عندما سأل: «بماذا تفكرين يا ميغان؟»

قالت بسرعة: «لا شيء، لا شيء أبداً.»

كان ممتعاً أن تعود إلى البيت. وتمنت لو أن الأستاذ يمضي اليوم معهم، ولكنه بعد أن أمضى نصف ساعة يتحدث مع والديها وهو يحتسي القهوة، قال إن لديه في عطلة

الأسبوع مواعيد، لذا عليه أن يعود إلى لندن حالاً، وبعد أن رفض بكثيرٍ من اللباقة دعوة السيدة رودنر إلى العشاءِ، قال لميغان قبل أن يغادر: «سأكون هنا في الثامنة من مساء الأحد.»

بعد ذلك، صافحها وصافح السيدة رودنر وغادر.

قالت السيدة رودنر بعد أن ذهب: «يا له من رجل لطيف.» ولم تكن متأكدة إذا كانت كلمة لطيف مناسبة لوصفه.

اخبرت والديها حتى ذلك المساء عن الميتم. استمعا إليها من دون مقاطعة، وعندما انتهت سألها والدها: «عزيزتي، أتريدين نصيحتنا أم أنك قررت؟»

«قلت إنني سأذهب، ثم اصبحت غير متأكدة من ذلك. لكن يبدو أن الأستاذ يظن أنني ذاهبة. فهو يعتقد أنها فكرةٌ جيدة. وإذا ذهبت فلن يطول غيابي إلا بضعة أشهُر أو أقل. ماذا أفعل حينها؟»

«حسناً، عزيزتي، أعتقد أنها فكرة جيدة أن تتركي الريجنت. لا شك أن هناك عدداً من المستشفيات تستطيعين أن تحصلي فيها على مركزٍ مماثل. لن يضرك أن تبقي هنا أسبوعاً أو أسبوعين حتى تقرري إلى أين تريدين أن تذهبي.» كان صوت أمها مريحاً ومطمئناً. «هل تريدين أن تكلمي ميلاني في الموضوع؟ إنها عند آل هويلز، سوزان هويلز ستكون إحدى إشبيناتها.»

قالت ميغان بصوتٍ هادئٍ وضعيف: «طبعاً لا، فهي مستاءة كفاية، أليس كذلك؟ سأقوم بكل الاجراءات وأخبرها عند جهوز كل شيء.» سرحت قليلاً وأضافت: «أخبرت أوسكار. إنه... يعتقد أنها فكرة رائعة.» نظرت

إلى والدها قائلة: «إذاً، تعتقد أنه يجب أن أذهب؟»

«قولي لي يا ميغ، لماذا غيرت رأيك بعد أن وافقت على الذهاب إلى هولندة؟»

«أظن أنني كنت مستاءة، لأن الأستاذ ڤان بلفيلد كان متأكداً بأنني سأقول نعم...»

ابتسم والدها وقال: «ردة فعل طبيعية جداً، ولكن ربما ندمت عليها؟»

وافقت قائلةً: «عندما يأتي غداً سأخبره أنني سأذهب...»

سألت والدتها: «ميغ، متى سيكون ذلك؟ وماذا بشأن الملابس؟»

«يقع الميتم على الساحل في مكانٍ صغير، قرب مدينةٍ تدعى كاستريكوم، لذا لن أحتاج لكثيرٍ من الملابس.»

«ترى هل ستلبسين زياً رسمياً؟ تقولين إن الأستاذ عضو في مجلس الإدارة، فلا بد أنه يعرف. هل يذهب غالباً إلى هناك؟»

«لا أظن أن لديه الوقت لذلك. أعني أن أعضاء مجلس الإدارة لا يتقابلون إلا بين الحين والآخر، قليلاً، أليس كذلك؟ قال مرة، أن لديه أعمالاً إستشارية، ولكن لا أعلم أين. ربما لديه بعض الأعمال الخاصة. أنت تعرفين أن بعض الناس يدفعون لإجراء فحوص مختلفة.»

أصرت أمها قائلة: «دعينا في موضوع ملابسك.» أمضيا باقي السهرة، في اختيار الملابس التي ستأخذها معها.

وصل الأستاذ مساء الأحد، ومكث نصف ساعة، اجاب فيها على أسئلة السيدة رودنر، وهو يشرب فنجان قهوة. لم تكن ميغان موجودة. فقبل نصف ساعة من وصوله، اتصلت

بها ميلاني، وطلبت منها أن تعيدها إلى البيت، لأن سيارة آل هويلز تعطلت. ذهبت ميغان بسيارة والدها، فهي لم تشاهد ميلاني خلال العطلة، ولكنها كانت متأكدة من أنها ستعود قبل وصوله. إلا أن آل هويلز أعاقوها عشر دقائق.

قالت ميغان وهما يدخلان البيت: «إنه هنا...» فاتجها إلى غرفة الاستقبال.

وقف حين دخلا وحياهما، وبدأ يتحدث مع ميلاني، لم ينكر الميتم فشعرت ميغان بالإرتياح. ربما لم تسنح الفرصة لتسأله أمها، وتأكدت من ذلك عندما قالت والدتها إن الأستاذ أعطاها وصفتين ضد ذباب الخضار.

شربت ميغان القهوة وهي تجهل الحديث الذي دار بين الأستاذ ووالدتها، وبعد هنيهة قالت له إنها جاهزة إذا كان يود الرحيل، فأحضرت ميريديث، ثم حيتهم جميعاً، ووقفت صامتة وهو يصافح الجميع، ثم قال شيئاً لميلاني جعلها تضحك قبل أن يصعدا إلى السيارة.

بدأ يتحدث في مواضيع مختلفة، فلم يعطها فرصة للحديث. انتظرت ميغان أن يتطرق للميتم ولكنه لم يفعل فقالت عندما وصلا الشقة: «سأذهب، سأذهب إلى ميتمك فالجميع يعتقد أنها فكرة جيدة.»

«وأنت يا ميغان؟ ألا تعتقدين أنها فكرة جيدة؟»

«بلى، أنا آسفة لأنني كنت عنيدة. لم أعنِ ذلك، لقد كنت لطيفاً جداً لتعاليك على كل تلك المتاعب.»

«كنت فعلت الشيء نفسه لأي واحد.»

عندما وصلا الشقة، فتح الباب كعادته وأشعل الضوء، ثم تفحص المطبخ والنافذة، إلا أنه لم يقل شيئاً. قال لها قبل أن

يخرج: «ميغان، دعيني أرى المديرة عنك قبل أن تقابليها. لا داعي لأن تقدمي أعذاراً لرحيلك. طبعاً هي تعرف أنك فسخت خطوبتك مع أوسكار، ولكن ليس هناك ضرورةً لذكر ذلك.»

فتح الباب وأضاف: «لا أريدك أن تتألمي أكثر، فقد أصابك ما فيه الكفاية.» وضع يده على كتفها وقال: «سأراك في وقتٍ ما خلال الأسبوع.»

ولسببٍ مجهول انفجرت ميغان بعد رحيله بالبكاء.

لم تحدد ميغان موعداً مع رئيسة الممرضات إذ أن الأخيرة بعثت في طلبها. كان الجناح هادئاً والطاقم كله مناوباً. لذلك، ارتدت زيها الأزرق الداكن وأسرعت إلى المكتب. كانت المقابلة قصيرةً ومفاجئة، وبدت رئيسة الممرضات لطيفةً وهي تتمنى لها التوفيق.

«ليس هناك أفضل من التغيير. إنه لأمرٌ جيد أن يوسع الإنسان آفاق عمله، وعندما تعودين أيتها الأخت يمكن أن أوصي بك إلى عددٍ من المستشفيات خارج لندن. لقد كان عملك ممتازاً عندنا وتأكدي أنك ستحصلين على أحسن التوصيات مني شخصياً ومن الطاقم الطبي كله.»

وبعد هذا الكلام اللطيف صافحت ميغان، التي لم تقل كلمة ما عدا تحية مساء مهذبة، وحين همت بمغادرة المكتب شكرتها وودعتها ثم خرجت من المكتب. كانت ميغان ستغادر بعد أسبوع، إذ كان واضحاً أن الأستاذ دبر ذلك، على الرغم من أن رئيسة الممرضات لم تذكر شيئاً عن هذا الموضوع. عادت إلى الجناح لتجد رسالةً لها على المكتب توصي بالإتصال في أسرع وقتٍ ممكن، بالأستاذ ڤان بلفيلد.

«ڤان بلفيلد، نعم؟»

«هذه أنا، أنت تركت رسالة؟»

«سآتي لرؤيتك هذا المساء حوالي السابعة. لا داعي لإعداد العشاء، سأحضر بعض الطعام معي ويمكننا التحدث ونحن ناكل.»

لم يفسح لها المجال لتقل سوى «حسناً.» قبل أن يقفل الخط.

انتهى عملها في الساعة الخامسة، ولكنها لم تغادر الجناح مباشرةً، فلا يزال أمامها عمل تقوم به وهو تنظيم جدول الدوام والتأكد من حالات العمليات لليوم التالي، لذلك لم تترك المستشفى إلا في السادسة. أسرعت إلى الشقة قبل أن يصل الأستاذ، فأطعمت ميريدث وحضرت القهوة، ثم سرّحت شعرها ووضعت مكياجها، وفكرت في تغيير فستانها. فقد كانت ترتدي فستان كريب قطنياً بلون العسل، لكنها تذكرت أن الأستاذ لا يلاحظ ما ترتدي أبداً، كما أنه قد يصل في أية لحظة.

قالت لميريدث: «في الحقيقة هذه أصبحت عادة، فهل من المفروض أن أطهي العشاء الذي سيحضره معه؟»

قرع الباب بعد دقائق، فدخل الأستاذ ڤان بلفيلد وقال: «مرحباً.» ووضع كيس بلاستيك على الطاولة وأضاف: «هلاّ تركت الباب مفتوحاً، سأحضر الباقي.»

عاد يحمل صندوقاً، وضعه على الطاولة وأغلق الباب بقدمه وحمل الصندوق إلى المطبخ.

«وضعت الزجاجات في هذا الكيس خوفاً من الجيران. هل تتسع لها الثلاجة؟»

«كل شيء بارد، جلبتها باردة. لقد طلبت من السيدة ثرامبل أن تعد وجبة خفيفةً.»

وقفت ميغان قرب الباب لضيق المطبخ وقالت: «هذا لطف منها.»

«ارتاحي أنت، وأنا أفرغ الصندوق.»

وضع المشروب في الثلاجة، ثم جلس ووضع ميريدث على ركبتيه، وراحت تفرغ الصندوق.

«يا إلهي، هذا ك... ك...»

«كثير. جيد، فقد أخبرت السيدة ثرامبل أننا سنكون جائعين.»

أفرغت ميغان الطعام ووضعته في صحون.

«متى تريد أن تتناول العشاء؟»

«حالماً يوضع على الطاولة. هل نأخذ مشروباً في البداية؟»

دخل إلى المطبخ وأخذ زجاجة من الثلاجة. «ربما لم تكن باردةً كفاية، على الرغم من أن السيدة ثرامبل بردتها جيداً.»

«هذا الشراب، يقدم خصيصاً في أعياد الميلاد.»

«وللإحتفالات أيضاً. أحضري كأسين أيتها الفتاة العزيزة.» لم يكن لديها كؤوس خاصة بهذا الشراب بل كؤوس شراب عادي. كانت قد أحضرتها من مخازن ولوورث.

«إحتفالات؟»

«عمل جديد وبداية جديدة في الريف، لنا كل الحق في شرب نخب ذلك.» ملأ الكأسين وناولها واحداً وشربت منه قائلة: «لا أعرف كثيراً عن الشراب، ولكن هذا طعمه لذيذ جداً.»

وافقها الرأي، إذ أن بولِنر ١٩٨٥ هو شراب ممتاز، ولكنه لم يكن ينوي أن يقول لها ذلك. يكفي أنه أعجبها. أخذ الكأسين ووضعهما على الطاولة، فذهبت لتحضر الحساء.

سأل الأستاذ وهما يتناولان فطيرةً ودجاجاً: «هل كانت الرئيسة لطيفة معك؟»

«أجل، جداً. قالت إنه نظراً للظروف يمكنني أن أرحل بعد أسبوع. ماذا قلتَ لها؟»

«القليل جداً. سألتها إذا كان بإمكانك الرحيل بأسرع وقتٍ ممكن، لأنه مناسب لك أن تسافري معي إلى هولندة.»

سكب مزيداً من الشراب وأضاف: «الآن، دعينا نناقش بعض التفاصيل.»

أنهيا العشاء، فأحضرت ميغان القهوة ووضعتها على الطاولة. لم يعد عليها سوى حزم حقائبها وإحضار جواز سفرها وتوديع الجميع. «كل شيء يبدو سهلاً، ظننت أن مغادرة الريجنت ستكون معقدة أكثر من ذلك بكثير.»

وافقها الأستاذ على ذلك، فقد أمضى وقتاً طويلاً وبذل مجهوداً ليجعل الأمر سهلاً.

وقف الآن استعداداً للذهاب. ووضع العلب الفارغة في السلة ونشف فناجين القهوة التي غسلتها ثم تمنى لها ليلة سعيدة وغادر. بدت الغرفة بعد رحيله خاوية إذ أنه كان رجلاً ضخماً يشغل حيزاً واسعاً من شقتها الضيقة.

كانت تود أن تسأله إذا كانت ستراه بعد أن تستقر في هولندة، ولكنها امتنعت لمعرفتها بعادته، بتجاهل الأسئلة التي لا يرغب في الإجابة عليها. استعدت للنوم وهي تفكر به. فبعد بداية مزعزعة أصبحا صديقين، على الأقل من

ناحيتها، في الواقع كانت تود أن لا تخسر هذه الصداقة.

لم يكن لديها مناوبةٌ حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، مما منحها الوقت لتتصل بوالدتها: «لقد قررتِ إذاً.» بدا صوت والدتها مرتاحاً، فتذكرت فجأةً أن ذهابها قد يسهل الأمور على ميلاني وأوسكار، ربما لا يزالان يشعران بالذنب. «لا بد أن الأستاذ سيكون سعيداً لذهابه إلى البيت، فمهما كان مشغولاً بالعمل فلا بد أن يشتاق لعائلته.»

وافقت ميغان، وبعد عدة دقائق أقفلت الخط. كانت حتى ذلك الوقت، لا تزال تعتبر الأستاذ كشخصٍ اعتاد على الظهور عندما تكون في أمس الحاجة إليه، ويبقى في الوقت نفسه محايداً. أما الآن، فبدأت تعتبره أكثر من ذلك، وقد ذكرتها أمها بذلك. أدركت أنها أصبحت الآن تهتم به وتريد أن تعرف المزيد عنه. فما هو مهم في الموضوع، هو أنها ترتاح معه، ولكن هذا لا يكفي، لذلك قررت أن تتجنبه قدر الإمكان. وحالما تصل إلى هولندة ستشكره على مساعدته ولطفه، ولن تراه ثانيةً، لكن تلك الفكرة أحزنتها.

أخبرت جيني، وهما تتناولان فنجان شايٍ بعد العشاء، أنها ستغادر، كان الجناح مليئاً بالزوار، ونقلت حالات العمليات إلى غرفة العناية المركزة. بعد قليل ستقوم ميغان بجولة في الجناح، مما يسمح لأي كان أن يطرح أسئلة عليها. وذهبت الآن لتتفحص حالات العمليات. كانت السيدات الثلاث نائمات، ففحصت ضغطهن وتأكدت من ملابسهن، ثم عادت إلى الجناح، حيث كانت تتوقف أحياناً لتجيب على أسئلة أحدهم. أمضت عشرين دقيقة أو أكثر في الجناح، قبل أن تعود

إلى مكتبها حيث كانت جيني قد أعدت لها إبريق شاي طازجاً.

جلست ميغان على الكرسي فيما سألت جيني: «من سيحل مكانك، أيتها الأخت؟»

«لقد أوصيت بك يا جيني. أنت تعملين هنا منذ سنتين، ويمكنك أن تديري الجناح مثلي تماماً. لقد طلبت السيدة جيفز أن تعمل بدوام كامل. فابنها سيدخل مدرسة داخلية. أنت تحبينها، أليس كذلك؟ ثم أنك تتفقين معها. لدي موعد بعد الظهر لمناقشة هذا الموضوع ولكنني أقول لك الآن لتعلميني إذا كنت لا تريدين الوظيفة.»

كانت جيني تريد الوظيفة. إلا أنها قالت: «هل عليك الرحيل أيتها الأخت؟ أعرف أن الريجنت يقع في مكان معزول ولكن مع الوقت سنتعرف على المتاجر والمسارح، ألن تفتقدي كل هذا؟ والجناح؟»

«حسناً، سأشتاق إلى أصدقائي والجناح. فقد أمضيت وقتاً طويلاً هنا، ولكنني أتوق لشيءٍ مختلفٍ.»

«أتعجب لماذا اختارك الأستاذ ڤان بلفيلد بالذات؟ لا بد أنه يعرف الكثير من الممرضات في هولندة. إنه...» توقفت مرتبكة: «آه، أنا آسفة. أظن أنني أفهم الآن.»

«أريد أن أبتعد عن أختي وأوسكار، يا جيني. ليس لأنني مستاءة من خطوبتهما، ولكن لأنني أعتقد إذا رحلت سيرتاحان. على كل حال، لقد آن الأوان لأغير حياتي.» نظرت إلى ساعتها قائلةً: «حان موعد انصراف الزوار. أرجوك، هلا قرعت الجرس؟ فسأقوم بجولة أخرى.»

كانت ميغان في الأيام التالية مشغولة جداً. فلم ترَ

الأستاذ أبداً. لقد طلب منها أن تترك له كل شيء، وهكذا فعلت. ذهبت في يوم عطلتها بسيارتها الصغيرة إلى منزلها، وأمضت اليوم في حزم ثيابها التي ستأخذها معها إلى هولندة. كان فصل الصيف في أوائله والطقس حاراً فأخذت معها تنانير جيرسي طويلة وعدداً من البلوزات.

قالت أمها محذرة: «أخبرني أحدهم أنها تمطر في هولندة، لذلك وضعت في الحقيبة معطفاً للمطر وحذاءين مناسبين. ساعدتها ميلاني في ذلك، أو على الأقل جلست على السرير وتحدثت، فيما كانت ميغان المرتبة جداً، تضع ملابسها بين طيّات من الورق.

«ستعودين في عيد الميلاد، أليس كذلك يا ميغ؟»

«أظن ذلك، ربما سأكون في عملٍ آخر عندئذٍ.» نظرت ميغان إلى فستان أخضر وبرتقالي قائلةً: «هل تعتقدين أنه ستسنح لي الفرصة لارتداء هذا؟»

«لِمَ لا؟ سيكون لديك أصدقاء تخرجين معهم. ستكتبين وتخبرينا بكل شيء، أليس كذلك؟ يقول أوسكار إنك لا تزالين متحفظةً، ولكنك ستقابلين بالتأكيد كثيراً من الناس. هل ستشاهدين غالباً الأستاذ؟»

«ربما لا. لا أعرف أين يقطن في هولندة، على كل حال سيكون منشغلاً بزوجته وعائلته.»

عبست ميلاني قائلة: «ما زلت أعتقد أنه لا يبدو كرجلٍ متزوجٍ.»

تجهمت ميغان أيضاً، فقد انقبض قلبها من كلمات أختها. لكنها لم تجبها، بل تساءلت عن أفضل طريقةٍ لإيصال ميريدث إلى البيت قبل أن تغادر: «أظن أنه من الأفضل أن

أرجع في المساء الذي يسبق رحيلي إلى هنا فأودعكم حينها.»

مرت الأيام الأخيرة بسرعة البرق. أقام لها زملاؤها في بيت الممرضات حفلة وداع، فعادت محملةً بالهدايا. وفي اليوم الأخير قدمت لها الممرضات ساعة يد. بعد ذلك ودّعت ميغان المرضى ثم جيني التي بكت قليلاً. «سأشتاق لك أيتها الأخت. أتمنى أن أكون قديرةً في عملي مثلك تماماً وأن تكوني سعيدة. ستزورينا عندما تعودين، أليس كذلك؟»

«عزيزتي جيني، ستكونين رائعةً في العمل، وسأزوركم طبعاً عندما أرجع، وسأرسل بطاقةً أيضاً...»

كانت تغادر الجناح حين دق جرس الهاتف، فطُلب منها أن تذهب إلى المختبر قبل أن تغادر المستشفى.

ذهبت في الحال، وهي تفكر بتشاؤم أن كل شيءٍ انتهى في اللحظة الأخيرة. بانت هذه المخاوفُ على وجهها عندما دخلت المكتب.

كان جالساً إلى المكتب يكتب، ولكنه وقف عندما دخلت.

«اعذريني لهذا الأمر، ولكن هناك بعض التقارير التي يجب أن تنتهي هذا المساء، ولا وقت لدي. سأقلك وميريدث إلى بيتك قبل أن تغادري إلى هولندة. هل ستكونين جاهزةً في الثامنة؟ هل أنت متأكدةٌ أنك تودين أخذ ميريدث إلى بيتك؟»

«أجل، ولكن لا داعي.»

«أرجوك يا ميغان لا تضيعي وقتي. افعلي ما أطلبه فقط، ربما ستكون أمك لطيفةً وتقدم لنا بعضاً من القهوة والساندويشات، فلن يكون علينا عندئذٍ أن نتوقف في الطريق.»

«حسناً، سيدي، سأكون جاهزةً في الصباح. أنا متأكدة أن أمي ستفرح في تقديم شيء لنا.» فتحت الباب وقالت بهدوءٍ: «تصبح على خير يا سيدي.»

عاد إلى مكتبه قائلاً: «تصبحين على خير ميغان.»

قالت في نفسها وهي في طريق عودتها إلى الشقة، إنه ليس هناك من سبب يدعوه لكي يكون ودوداً معها. لقد ساعدها كثيراً وأمّن لها وظيفةً، ولا داعي لأن يفعل المزيد. تناولت العشاء، واتصلت بوالدتها لتشرح لها أنها لن تذهب إلى البيت قبل الصباح، وأن الأستاذ سيوصلها. بعد ذلك فتحت علبة سردين لميريدث. ستشتاق له كثيراً، ولكنه سيكون سعيداً في البيت. وعندما تعود إلى بريطانيا وتستقر في عملٍ جديد، ستستعيده.

وضّبت حقائبها، وقابلت صاحب المبنى لتدفع الإيجار، ولم يعد أمامها سوى أن تترك المفتاح عند الجيران قبل أن تغادر في الصباح، ضبطت المنبه على الساعة السادسة، وآوت إلى الفراش، وكالعادة تسلل ميريدث إلى فراشها.

الفصل السابع

كانت ميغان جاهزة، ترتدي سترة رمادية وقميصاً مقلماً. وحقيبتها إلى جانبها، وميريدث داخل السلة الخاصة به عندما وصلت سيارة الرولز رويس. خرج منها الأستاذ والقى عليها تحية الصباح، ثم التقط الحقيبة وسلة الهر ووضعهما على مقعد السيارة الخلفي، وفتح لها بابها الأمامي. حصل كل هذا في سرعة خاطفة وانطلقا قبل أن تمضي خمس دقائق على وصوله.

قاد الأستاذ السيارة بصمت، ولولا صوت ميرديث في الخلف لعمّ السكون داخل السيارة.

«أتمنى أن يكون ميريدث سعيداً.» قطعت ميغان الصمت: «طالما كان سعيداً وهو في البيت.»

«إذا لم يكن سعيداً ولم يستطع التأقلم، سوف أخذه إلى السيدة ثرامبل.»

«تعود إلى هنا؟» شعرت بالرعب. «اعتقدت أنك ستبقى في هولندة.»

«لقد قسمت وقتي بين هنا وهناك.» سوف أمضي بعض الوقت في هولندة، أقوم باجراء بعض الفحوص وإلقاء المحاضرات.»

كان الوقت باكراً وزحمة السير خفيفة. قاد السيارة بثبات من دون ارتباك. «هل من الضروري أن نسلك هذه الطريق للوصول إلى دوفر؟» سألته ميغان.

«لا. نستطيع أن نسلك طريق م ٢٥ ومن ثم إلى الأوتوستراد ثم إلى دوفر، لا يوجد مشكلة.»

أخذ يتكلم عن مواضيع شتى، هدأت ميغان قليلاً، ولكن الأسئلة الكثيرة، التي نوت أن تسأله عنها بقيت في رأسها.

كانت العائلة جميعاً بانتظارهما عندما وصلا أمام منزلها. أخذ كولن عطلة، ووالدها لم يذهب إلى المكتب، وقفوا جميعاً عند الباب عندما أوقف الأستاذ السيارة. شق الأستاذ طريقه بينهم، تكلموا جميعاً في آنٍ واحد. لم يكن هناك متسع من الوقت، فتناولوا القهوة حول مائدة المطبخ والتهموا السندويشات التي حضّرتها السيدة رودنر مع ميلاني، بينما انشغلت ميغان بإعطاء توجيهات عن ميريدث الذي خرج من سلته وتجول في الشقة يلعب مع الكلب جانوس. «إذا لم يعجبك المكان هنا، فإن الأستاذ ڤان بلفيلد سيأخذك، لأن مدبرة البيت عنده تحب القطط.»

كان الأستاذ يجلس في نهاية الطاولة يتكلم مع أبيها. إلتقت نظراتهما. «هل نغادر بعد ربع ساعة؟» إقترح عليها.

إلتفت ناحية السيد رودنر: «ربما تستطيع إلقاء نظرة على المحرك؟ هناك عدة أمور عنه...» خرج الاثنان ورافقهما كولن.

قالت ميلاني برقة: «إنه رائع، أستاذك، يا ميغ، حسناً، إنه ليس لك، لكن لا فرق، إنه رائع، وتلك السيارة الرائعة أيضاً. ألست متحمسة؟»

«أظن أنني كذلك. إنه لأمرٍ مسل أن اختبر شيئاً جديداً، وسيكون لدي الوقت الكافي لأقرر ماهي خطوتي التالية.» تكلمت ميغان بحماس، أو هكذا بدا لأمها.

«هل سيبقى الأستاذ في هولندة؟» سألتها أمها.

«أظن ذلك. لديه بعض الأعمال ينجزها هناك ولكنني لا أعرف تماماً أين. لا أتوقع رؤيته مرة ثانية.» وبدت ميغان جدية وهي تقول كلماتها الأخيرة.

وافقت أمها معها. «بالطبع لديه.» لقد كلف الأمر كثيراً من التفكير والمجهود كي تحصل ميغان على هذا العمل. على أي حال، إنها تستطيع أن تجد عملاً آخر في مكان ما في انكلترا. لا تصدق أنه متزوج، وإذا حمل ميغان على تصديق هذا، فإنه يعود لأسباب خاصة به. شعرت بداخلها أنه مغرم بميغان، لكن ميغ لم تظهر أي تصرف يدل على اهتمامها به. «حسناً، حبي، يجب عليك أن تستعدي للمغادرة. خابريني عندما تجدين الوقت، واكتبي رسائل طويلة، سوف نهتم بهرك. اعتني بنفسك يا ميغ، وكوني سعيدة.»

كان الوداع صعباً. وعلى الرغم من أنهم عائلة متحفظة، فنادراً ما يظهرون عواطفهم علنا، إلا أنهم عائلة متماسكة واحدة. احتضنت ميغان الجميع بمن فيهم جانوس وميريدث، ثم صعدت إلى السيارة. إنه من الحمق أن تدع دموعها تسيل كالأطفال. إنها امرأة ناضجة ويجب أن تتخطى هذه المشاعر الطفولية. لوحت بيدها للجميع، وفجأة بعث الأستاذ البهجة في نفوس عائلتها عندما قال:

«سوف نعود...» بالطبع لم يقصد ما قاله. إنه لطيف ليقول شيئاً مفرحاً كهذا.

يجب عليهما أن يقطعا مئة وثلاثين ميلاً للوصول إلى دوفر. قاد الأستاذ سيارته بسرعة، لكنه بداكرجل لديه الوقت الكافي لأي شيء، وهو يحادثها بمواضيع شتى لم تنته

حتى وصلا إلى دوفر. لقد حسب وقت الرحلة بدقة. تناولت ميغان الشاي وبعض البسكويت أثناء الرحلة، وقرأت الدليل السياحي الذي زودها به عن هولندة. كان كتيب الدليل يشمل معلومات عامة وشاملة حتى لاصغر المناطق والقرى. ومن الوصف، اتضح أن الميتم يقع بين بيوت قليلة وكنيسة ومحل يبدو وكأنه مركز بريد غير بعيد عن الشاطىء أيضاً، ومحاط بأشجار جميلة شبيهة بغابة صغيرة. انهمك الأستاذ في قراءة بعض الأوراق التي أخرجها من حقيبته. ثم نظر إليها وابتسم عندما سألته: «هل هناك حافلات إلى كاستريكوم وهيمزكيرك؟»

«بالطبع هناك، لكن عددها يتضاءل في الشتاء. الجميع يستعملون الدراجات الصغيرة، هل تستطيعين ركوب دراجة؟» أومأت برأسها. «جيد، ستكون لك واحدة. وهذه أفضل وسيلة للتنقل في أنحاء المنطقة.»

عاد يقرأ أوراقه، وأخذت ميغان تنظر من النافذة إلى المياه الهادئة، تتخيل الأيام التي ستقضيها هنا.

الجزء الأطول من رحلتهما لا يزال امامهما. انطلقا من كاليه إلى كونت وأنتورب، ثم وصلا إلى هولندة. قاد الأستاذ سيارته بسرعة ماراً بالقرى والكنائس، وهذا أتاح لميغان مشاهدة هذه المناظر الرائعة. كان الوقت ظهراً. تساءلت ميغان: كم سيكون الوقت متأخراً عندما يصلان إلى الميتم؟ تمنت أن تجد وجبة طعام جاهزة، ثم أخذت تفكر بالوجبات التي تحب أن تتذوقها. شعرت بالاحراج عندما قال الأستاذ: «لا بد أن تكوني جائعة. لن يستغرق الأمر طويلاً حتى نصل.»

انعطف بسيارته إلى مفترق طريق ضيقة، تؤدي إلى منطقة جميلة مشجرة. لا بد أن البحر أصبح قريباً الآن، فكرت ميغان، ولكن قبل ذلك عليهما المرور بالسدود والانفاق حسبما ذُكر في الدليل السياحي. لم تكترث للاشارات على الطريق عندما انعطف الأستاذ مرة ثانية، وشاهدت المياه أمامهما. أحست بالراحة، لكنها لم ترَ السدود والأنفاق، بل شاهدت غابات صغيرة وحقول واسعة. أبطأ الأستاذ السيارة عندما دخلا القرية فنظرت ميغان حولها، ورأت الكنيسة وساحة القرية والبيوت المتناثرة. كما رأت متجران. ولكن أين السدود والانفاق؟ أدخل الاستاذ سيارته عبر بوابة مفتوحة ثم توقف أمام منزل.

«يا له من مكان رائع لميتم.» قالت ميغان. خرجت من السيارة وهي تنظر حولها، تستكشف المكان بسرعة. كان البيت رائعاً فعلاً بجدرانه البيضاء، ودرجه الواسع والأعشاب الخضراء المتدلية من كل مكان، ونوافذه الكثيرة.

ابتسم الأستاذ: «هذا ليس الميتم، يا ميغان. إنه بيتي.» حدقت فيه: «لا تنظري إليَّ هكذا. إن الوقت متأخر لاوصلك إلى الميتم هذا المساء. سوف تتناولين وجبة طعام وتقضين الليلة هنا.»

أمسكها من ذراعها وقادها نحو المنزل. لكنها توقفت فجأة بعد عدة خطوات وقالت: «هذا خطأ يا أستاذ ڤان بلفيلد. هل تتوقع زوجتك قدومي؟ ومن ناحية أخرى، فانت تريد أن تختلي بزوجتك وأولادك.»

أمسك ذراعيها وهزها قليلاً: «يجب أن نوضح شيئاً. لا يوجد عندي زوجة، يا ميغان، وليس عندي أولاد.»

«لكن أنا قلت... أنت قلت...»

«اسكتي. ودعيني انتهي من كلامي. لم أقل ان عندي زوجة وأولاد. إذا اخترت أنت أن تتصوريني في مخيلتك بأنني رجل متزوج وأب فهذا شأنك، وهذا نتيجة مخيلة واسعة...»

«حسناً. لم يكن هناك من حاجة لجعل الأمر سراً.» أجابت ميغان، التقت نظراتهما. «ليس لأنني أريد أن أعرف شيئاً عن حياتك الشخصية.» أحمرت وجنتاها عندما قالت هذا. «إذا لم يكن عندك زوجة، فلا يمكنني أن أبقى هنا.»

أخذ بذراعها وحثها على السير وهو يقول: «فتاتي العزيزة، خذي بعين الاعتبار، أنني كعضو في الهيئة الطبية، هل أحب أن أعرض سمعتي للأقوال؟ تعالي، تعالي، لطالما اعتبرتك امرأة حساسة جداً، يوجد جدتي، ومدبرة بيت متزوجة في منتصف العمر، وخادمتان في البيت، الآن هلا دخلت؟ أنا جائع.»

لا فائدة من المناقشة. أرادت أن تضحك، تسلقت الدرجات إلى جانبه. فتح الباب رجل عجوز، زادت تجاعيد وجهه عندما ابتسم واصبحا في الداخل. تبادل الرجلان بعض الكلمات في لغتهما الخاصة، قبل أن يقوم بتقديمه إلى ميغان. كان اسمه ليتمان.

تصافحا. «أنت على الرحب، يا آنسة.» قال لها بلهجة انكليزية ثقيلة. وتكلم مع الأستاذ الذي وضع يده على ذراعها برفق ونادى: «ستوجي، إحدى الخادمتين،

سترشدك إلى المكان الذي تستطيعين فيه أن تقومي بترتيب نفسك قبل أن تقابل جدتي. هيا، أسرعي. سوف أكون هنا، أنتظرك.»

دخلت إلى غرفة في نهاية الصالة. نظرت إلى نفسها بحماس، فشعرت بإضطراب لفكرة مقابلة جدته. لكنها لا تستطيع البقاء هنا طويلاً، سرّحت شعرها، ووضعت قليلاً من البودرة على أنفها. وعادت إلى حيث كان ينتظرها الأستاذ.

ورأت في وسطها سجادة ثمينة وأثرية تغطي الأرضية الخشبية كما لاحظت الكراسي والأريكتان الكبيرتان والمريحتان. إنها غرفة كبيرة، لكنها لا تستطيع أن تشعر فيها بالحياة.

رأت في الغرفة، شخص امرأة عجوز تجلس على كرسي كبير، منتصبة. وكان شعرها الأبيض مرتباً فوق وجهها الصغير النحيف، وكانت قماشة ثوبها الرمادي من النوع الجيد الذي يليق بامرأة في سنها المتقدم، والذي كان ملائماً للمجوهرات التي تلمع في خواتم أصابعها. كان في حضنها هر، فتح عينيه عندما دخلا الغرفة، ثم أغلقهما مرة ثانية. لكن الكلبين قرب المرأة العجوز أخذا ينبحان، ويهزان ذيليهما، تلك طريقتهما بالترحيب بالأستاذ. «روزي وسويفت.» تمتم الأستاذ. أمسك بها ومشى باتجاه المرأة العجوز.

انحنى. وقبل وجنتي المرأة العجوز، وقال شيئاً لها لم تفهمه ميغان. قدم ميغان لجدته. صافحت الجدة يد ميغان وقالت: «أنا سعيدة بلقائك عزيزتي.» كانت لغتها الانكليزية

صحيحة كحفيدها ولكن اللكنة لا تزال موجودة. «ربما نتكلم قليلاً قبل أن تغادري، ولكن أنت الآن بحاجة إلى تناول العشاء. سوف أذهب إلى غرفتي الآن. هل تأتي لرؤيتي قبل أن تخلدي للنوم؟ لدقائق؟»

هزت ميغان اليد المجعدة بلطف: «سوف أكون مسرورة؟»

كان الأستاذ يراقبها. ثم قال: «سوف نتناول عشاءنا الآن، يا جدتي، وسوف أتأكد من زيارة ميغان لك بعد ساعة.»

تناولا عشاءهما في غرفة صغيرة، وجلسا في مواجهة بعضهما حول طاولة مستديرة، وضعت عليها الكؤوس البلورية والأواني الصينية. تناولا الحساء أولاً، أتبعاه بطبق سمك وسلطة ثم تناولا الكاتو المحلى بالكرز، والقهوة.

قام ليتمان على خدمتهما. لم يتكلما كثيراً اثناء تناولهما الطعام، وعندما انتهيا من تناول القهوة، رافقها الأستاذ إلى الطابق العلوي الذي كانت فيه ممرات كثيرة، أخذها الأستاذ في أحد هذه الممرات، ثم طرق على أحد الأبواب وجدت ميغان نفسها في الداخل. كانت الغرفة واسعة، ونوافذها كبيرة، تطل على مروج خضراء تستطيع رؤيتها بسهولة تحت ضوء القمر. كانت جدته تجلس على سرير واسع، مغطى بالأغطية والوسادات الكثيرة، وكانت قطتها تجلس قربها. كانت تقرأ عندما دخلا، لكنها رفعت عينيها عن الكتاب الآن، وقالت: «تعالي إلى هنا، يا طفلتي.» أشارت بيدها نحو الأستاذ: «لن أبقيك طويلاً،

جاكي، تستطيع الذهاب لغرفتك، مايز سترافق ميغان إلى غرفتها.»

بدا على الأستاذ علامات التسلية. «كما ترين، يا ميغان، كيف أن جدتي جدية بالنسبة للتصرف اللائق. سوف أودعكما، تصبحان على خير.» اتجه نحو جدته وقبلها. وكم كانت دهشة ميغان عظيمة، عندما لثمها أيضاً، وخاطبها قائلاً: «لا تتأخري للفطور. رحلتنا تبدأ باكراً.» ثم غادر.

«اجلسي قربي على السرير يا ميغان.» قالت العجوز: «إن سمعي ليس جيداً كالسابق. أخبرني جاكي أنك تعملين معه في المستشفى ذاته. وفتاة جميلة مثلك بالتأكيد مرتبطة بأحدٍ ما؟»

«نعم.» قالت ميغان ثم استدركت وقالت: «لا.» وأخذت تخبر الجدة عن بيتها وعائلتها. كانت الجدة تهز رأسها علامة الرضى: «لقد أحسن جاكي الاختيار. سوف تكونين سعيدة هنا في هولندة يا عزيزتي.» ابتسمت في وجه ميغان. «تستطيعين توديعي الآن، يا ابنتي. ستغادرين المنزل باكراً وقبل أن استيقظ بمدة طويلة. لقد سعدتُ بلقائك. سترافقك مايز إلى غرفتك الآن.»

قبلت ميغان الخد الناعم، ثم توجهت إلى غرفتها برفقة الخادمة. أسدلت الخادمة الستائر، ثم دخلت الحمام وقالت لميغان شيئاً. لم تفهم ميغان ماذا قالت، لكن نبرة صوتها كانت لطيفة.

يا للبيت الجميل، فكرت ميغان وهي تنزلق تحت أغطية السرير، للأسف، لن أشاهد الكثير منه.

لم يكن هناك وقت، تناولت الفطور مع الأستاذ، ثم غادرا قبل الثامنة. لم تعرف الجهة التي توجه إليها بسيارته، ولكنها استطاعت رؤية السدود والتلال. سألته: «هل أصبحنا قريبين؟»

«نعم، سوف نصل بعد أن نعبر هذه القرية.» مرا قرب عدة بيوت وكنيسة. «من هذه الطريق نصل إلى البحر على الجهة الأخرى من هذه التلال.»

كان مبنى الميتم مستطيلاً وأبيض، سقفه أحمر، محاطاً بمروج خضراء وعدة أشجار. قطع الأستاذ الصمت: «يوجد خلف الميتم حقل واسع، حيث يستطيع الايتام زراعة ما يحلو لهم في قطع صغيرة مخصصة لكل طفل.»

توقف أمام باب كبير. ساعدها على النزول من السيارة. قرع الجرس، ثم دخلا إلى قاعة واسعة، حيث استقبلتهما امرأة لها ملامح لطيفة ووجه بشوش، وعينان زرقاوان ضاحكتان.

تصافحت مع الأستاذ كصديق قديم. قالا بضع كلمات لبعضهما البعض قبل أن يقوم الأستاذ بتقديم ميغان.

«ميغان رودنر، كاتجي، ميغان هذه هي المديرة، جوفرو بال. ستتحدثان سوياً لاحقاً. والآن سيقوم أحدهم بإرشادك إلى غرفتك. أريد أن اتكلم مع المديرة قبل أن أرحل. يجب أن أكون في دنهاج حوالي العاشرة والنصف.»

لم تتوقع ميغان هذا. كان بيته على مسافة قريبة من هنا، وتوقعت أن تراه كثيراً قبل أن يغادر إلى انكلترا. سوف يبقى هنا لعدة أسابيع، لقد قال لها ذلك بنفسه، شعرت بالرهبة لفكرة بقائها وحيدة وعدم رؤيته مرة ثانية.

بددت كلماته الأخيرة آمالها: «أنا متأكد أنك ستكونين سعيدة هنا، فسيكون عندك خطط كبيرة في المستقبل.»

حدقت إليه. عكست عيناها أفكارها. لم يضف أكثر، فقد صافحها وودعها بطريقته اللطيفة المعهودة. رافقت ميغان الفتاة التي سترشدها إلى غرفتها. وصلت ميغان منتصف الطريق والتفتت وراءها. نظرت إليه، ولكنه لم يكن ينظر ناحيتها. راقبته وهو يرافق المديرة خارج القاعة. قاومت شعوراً قوياً في داخلها للحاق به، لتقول له إنه ليس عندها خطط للمستقبل، إذا كانت هذه الخطط تمنعها من رؤيته، أخذت تقاوم مشاعرها القوية التي تحسها نحوه. أدركت أنها واقعة في غرام الأستاذ.

كانت غرفتها في الجهة الأمامية من البيت. صغيرة، لكنها جميلة، مرتبة الأثاث. رافقتها الفتاة التي قدمت نفسها تحت اسم ساين. كانت أكبر عمراً من ميغان بقليل، ولها ذلك الوجه اللطيف، وكانت تتكلم اللغة الانكليزية جيداً.

«سيارة جيدة.» قالت ساين، وهما ينظران من النافذة، نحو سيارة الرولز رويس المتوقفة أمام المدخل. «الأستاذ بارون ڤان بلفيلد رجل ثري. وهو وسيم ولطيف كذلك...»

«بارون؟» سألتها ميغان.

«ألا تعرفين بأنه بارون؟» بدت ساين مندهشة.

«ربما هو أستاذ فقط في بريطانيا؟» أضافت ساين، وهزت ميغان برأسها. إن صفة بارون جعلته بعيداً عنها أكثر من قبل.

خرج الأستاذ برفقة المديرة. تصافحا ثم استقل سيارته وانطلق بها. لم ينظر إلى الأعلى، لكن لماذا يفعل هذا؟

«حسناً.» قالت ميغان: «سوف أرتب ثيابي في الخزانة. هل هذا هو الثوب الذي سأرتديه؟»

هزت ساين برأسها: «عندما تنتهي من ترتيب ثيابك. ستنزلين لمقابلة المديرة؟ هل تكفيك ربع ساعة لذلك؟»

«حسناً. وشكراً ساين.»

تركتها ساين وحيدة. أخرجت ثيابها بسرعة، ورتبتها بعناية، ثم ارتدت ثوبها الخاص بالعمل. كان لونه أزرق منسوجاً من القطن، بأكمام قصيرة وياقة عالية. كان يوجد عدة مراييل. لا حاجة بوضع واحد، فكرت ميغان. فساين لم تكن تلبس واحداً. سرّحت شعرها ثم نزلت إلى الطابق السفلي. استطاعت سماع صوت الأطفال وبكاء الرُضع، لكنها لم تشاهد أحداً. دقت على أحد الأبواب الذي كتبت عليه لافتة «المديرة.»

كانت المديرة تجلس وراء مكتبها، إبتسمت عندما شاهدت ميغان.

«تفضلي بالجلوس، آنسة رودنر، يبدو المكان غريباً عليك. لكنك ستعتادين عليه قريباً وتشعرين بالارتياح. سترافقك ساين في جولة على الأقسام، ولمقابلة العاملين في الميتم، أما الآن فسوف أطلعك على واجباتك. أتمنى أن تعملي في قسم الرُضّع. لدينا سبعة أطفال حالياً، يبلغ أصغرهم ثلاثة أشهر من عمره وأكبرهم عمره حوالي سنة. تساعدك فتاة أخرى في المناوبة. ستكون نوبتك من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى العاشرة مساء. وفي الأسبوع المقبل، من الساعة السابعة صباحاً حتى الثالثة ظهراً، لديك يوم راحة في الأسبوع، وستشرح لك ساين التفاصيل. ستنوب

عنك فتاة في أثناء فترة الطعام. توجد فتاتان للحالات الطارئة. إنه عمل متعب، لكنه يستحق ذلك. سيكون لديك وقت كافٍ لنفسك في اليوم. أنت ممرضة متمرسة؟ لدينا غرفة تمريض صغيرة وأرجو، في حال وقوع أحد الأطفال مريضاً، أن تشاركي بالإعتناء به. إن الأطفال أصحاء كما تعرفين. يذهب أكبرهم سناً كل يوم إلى المدرسة في القرية، والصغار لديهم مدرسة خاصة بهم في فترة الصباح. والرُضع يبقون في الحضانة لكن نخرجهم إلى الهواء الطلق بعض الأحيان...» توقفت المديرة عن الكلام قليلاً ثم تابعت: «يجب أن أخبرك أكثر، أليس كذلك؟ فأنت لم تكوني على معرفة بالذي ينتظرك هنا؟»

ابتسمت ميغان.

«لا أبداً، حضرة المديرة. إنه تغيير جيد، بعيداً عن لندن.»

«هذا جيد. أنا كنت في لندن عندما كنت صغيرة. مدينة رائعة لكنني افتقدت البحر والريف. أما الآن فسترافقك ساين لتناول القهوة ثم القيام بالجولة. ستبدئين العمل اليوم عند الساعة الثالثة وستساعدك إحدى الفتيات. يجب أن أخبرك أن الذين يعملون هنا ينادون بأسمائهم الأولى وذلك أفضل وأسهل للأطفال. ما هو اسمك الأول آنسة رودنر؟»

«ميغان.»

هزت المديرة رأسها. «إسم جميل.» قرعت المديرة الجرس أمامها: «ستأتي ساين الآن لمرافقتك، أرجو أن تكوني سعيدة معنا، يا ميغان.»

كان الميتم مُنسقاً بشكل جيد ومُعداً بشكل مريح، كانت الغرف مزودة بإضاءة جيدة والوان جميلة مريحة للنظر.

يوجد داخل كل غرفة ثمانية أو سبعة أسرّة وغرفة كبيرة للعب. كانت غرف الأطفال الأكبر سناً أصغر حجماً. وفي نهاية الجولة، دخلت غرفة التمريض. كانت مزودة بمعدات ضرورية للحالات الطارئة. أبدت ميغان إعجابها بالغرفة فأجابت ساين: «إن أقرب مستشفى يبعد مسافة لا بأس بها. لذلك فنحن بحاجة إلى هذه الغرفة، وبها نكون جاهزين لكل شيء.»

«هل يقوم بزيارتكم طبيب؟»

«نعم، يقوم بزيارتنا أسبوعياً وفي حال حدوث طارىء.»

نزلتا السلالم. «سنتناول القهوة ثم نخرج إلى الهواء الطلق لالقاء نظرة.»

تناولتا القهوة في غرفة صغيرة فيها عدة طاولات مربعة، وحول كل طاولة أربعة كراسٍ، ستائر زرقاء متدلية فوق النوافذ، كان في الغرفة فتيات أكبر سناً تعرفت إليهن ميغان، ارتبكت في بادىء الأمر لاسمائهن المختلفة، لكنها ارتاحت لأنهن كن يتكلمن قليلاً من الانكليزية. قد تتعلم يوماً اللغة الهولندية، فكرت ميغان، كان يجب أن تحضر قاموسها معها.

كانت الفتيات لطيفات. «غداً.» قالت ساين: «ستكونين حرة في الصباح يا ميغان، تستطيعين الذهاب إلى القرية برفقة إحدى الفتيات، وبعد ذلك يمكنك الذهاب بمفردك.»

«ماذا عن الرسائل؟ أين مكتب البريد؟» سألت ميغان.

«يوجد عندنا مكتب بريد ويوجد أيضاً ساعٍ يأتي كل يوم. تستطيعين أن تعطيه رسائلك متى تشائين. يوجد أيضاً هاتف يُسمح لنا باستعماله. سوف أريك.»

كل الاحتياجات الضرورية مُؤمّنة، فكرت ميغان. أنهت شرب قهوتها. وذهبت إلى غرفتها لاحضار ورق ومغلفات وقطع نقدية صغيرة. اتصلت بوالدتها. ثم خرجت إلى الحديقة. كان هناك بوابة كبيرة تفصل الحديقة عن التلال في الخارج. رغبت أن تستكشف المكان أكثر، لكنها تذكرت أن وجبة الغداء تقدم في الحادية عشرة. لديها الوقت لكتابة رسالة صغيرة إلى عائلتها. وإذا بقي لديها بعض الوقت، ستكتب رسالة لبقة تشكر فيها الأستاذ على مساعدته لها. لا تعرف كيف تبدأ رسالة الشكر، لكنه أمر لا بد منه، فكرت ميغان. يجب أن تسأل المديرة، كيف ترسل الرسالة إلى الأستاذ، فهي لا تعرف عنوان بيته. لم يُخبرها الأستاذ، ولعله لا يريد اخبارها. أبعدت تفكيرها عن رسالة الأستاذ وأخذت تكتب رسالة مرحة إلى عائلتها. انتهت خلالَ خمس دقائق، ثم ذهبت للانضمام إلى الأشخاص الموجودين في غرفة الطعام.

كانت ساين موجودة برفقة فتاتين أخريين كن في انتظارها، هيلين وأنكي. أنكي، كانت الفتاة التي ستساعد ميغان خلال فترة الظهر في غرفة الحضانة، وبدا أنها فتاة شجاعة، ذات وجه دائري جميل، وخدين ورديين.

كانت تتكلم الانكليزية قليلاً، وبرغم ذلك، تمتع الجميع بالوقت، ثم تلى الوجبة احتساء القهوة. قالت ساين: «هذا المساء، سنتناول وجبة خاصة بالإضافة إلى القهوة.»

لم توضح ساين أكثر، ولم تسأل ميغان.

لا يزال أمامها ساعتان قبل أن تبدأ نوبتها. اقترحت عليها أنكي أن ترافقها إلى الشاطىء، قررت ميغان أن تترك

رسالة للأستاذ وترافق أنكي. اجتازتا البوابة الكبيرة إلى الطريق المرصوف بالحجارة الملساء بين التلال، ثم صعدتا بعض الدرجات الخشبية. امتد البحر أمامهما. ولمعت رمال الشاطىء تحت أشعة الشمس.

«جميل؟» سألت أنكي.

«جميل، لم أتصوره على هذا النحو. هل يأتي الأولاد إلى هنا؟»

«الكبار فقط وليس الرضع. عندما يسمح الوقت بذلك، تستطيعين أن تسيري لمسافات طويلة باتجاه دان هلدر أو هيرلم.» وأضافت ضاحكة: «لكن ليس في الشتاء، فالطقس بارد جداً هنا أثناء الشتاء، لكن لن تكوني هنا.»

للأسف، فكرت ميغان، السير على الشاطىء الرملي والأمواج تضرب الشاطىء بمياهها. ستكون تجربة رائعة، قد يكون الأمر أكثر إثارة مع الأستاذ... قطعت حبل أفكارها، يجب ألا تفكر به بهذه الطريقة. رددت على نفسها ذلك مراراً من دون فائدة.

فكرت قليلاً في أثناء عملها في الحضانة، وقد جعلها الأطفال من حولها مشغولة معظم الوقت. كانت أنكي صبورة وقوية جداً، دقيقة في انجاز مهماتها، وإعطاء ميغان المعلومات اللازمة عن كل طفل. «هل جميعهم أيتام؟» سألت ميغان.

«نعم، كيف تقولينها، مهجورون، الصغير جان...» أشارت بيدها نحو الطفل الأصغر سناً الذي كانت ميغان تطعمه: «وجد داخل كيس عند التلال. كان عمره عدة أيام. الآن، هو طفل معافى وجميل، أليس كذلك؟»

حدقت ميغان إلى الطفل الذي بين يديها. «إنه جميل، سوف يكون سعيداً هنا.»

«ليسا، وجدها الأستاذ، هناك، على الطريق. إنه يهتم كثيراً بالأطفال.»

«أنا متأكدة أنه رجل لطيف.» قالت ميغان واحمرت وجنتاها.

تُركت ميغان، منذ ذلك اليوم، على هواها. وكانت المديرة تقوم يومياً بجولتين على الأقسام المختلفة، تتمشى على مهل وتحادث الجميع، عاملين وأطفال، وتسأل ميغان إذا كانت سعيدة في عملها، ولم تدلي ميغان بأي ملاحظة. لقد كان عملاً شاقاً ولكنها تمتعت به لأنه لم يفسح لها مجالاً كي تشعر بالأسى على نفسها، وفي أوقات الفراغ القليلة، كانت تجد دائماً من يتطوع لأخذها إلى القرية أو التلال أو إلى نزهة على الشاطىء الرملي. استلمت في نهاية الأسبوع النوبة الصباحية وهكذا وجدت نفسها حرة بعد ظهر كل يوم. استعارت في أول يوم عطلة دراجة وذهبت إلى كستريكوم. كانت مدينة صغيرة وهادئة وتحتوي على متاجر قليلة ومطعم يقع في شارع دوربس، حيث تناولت طعام الغداء قبل أن تتابع طريقها باتجاه الشمال إلى اجموند، حيث ركنت دراجتها إلى جانب الطريق وتناولت الشاي. أحست بالنشوة بفعل الهواء العليل وعادت أدراجها إلى الميتم ببطء. كانت تفكر بالأستاذ، وتتمنى من كل قلبها لو كان معها الآن. فكرت بحزن، لا شك أنه نسي أمري الآن، ولكنه كان محقاً في اقناعي كي آتي إلى هنا. أنا منهمكة جداً كي أفكر بنفسي وعندما أكون حرة أشعر بالسكينة.

كتبت له رسالة استغرقت كتابتها عدة ساعات رغم قصرها. قرأ الأستاذ الرسالة، ابتسم قليلاً وطواها بعناية ووضعها في جيب معطفه. إنه باقٍ في هولندة عدة أسابيع ولديه الوقت كي يذهب إلى الميتم ويقابلها، ولكن، رغم رغبته للقيام بذلك، لم يفعل. إنه رجل يستطيع الانتظار واستغلال عامل الوقت لمصلحته، إلى أن تدرك ميغان لمن يخفق قلبها.

نشأت صداقة سريعة بين ميغان والفتيات الاخريات. استطاعت تعلم بعض الكلمات الهولندية. وشجعتها الفتيات اللواتي كن يأخذنها معهن في أثناء فترة راحتها، إما للتجول على الدراجة، أو المشي على الشاطىء الذهبي، أو الذهاب إلى القرية لارسال الرسائل. كتبت رسائل كثيرة لعائلتها ولأصدقائها في الريجنت.

أرسلت بطاقة بريديه إلى أوسكار، تمجد فيها جمال المنطقة وكم تحب عملها الجديد، أما الشخص الوحيد الذي لم تكتب له فكان الأستاذ. لقد كتبت له مرة واحدة، بإرشاد من المديرة التي زودتها بالعنوان إلى مستشفى في لايدن. لم تتوقع أن يأتيها الرد، لكنها تمنت لو يرد على رسالتها.

في منتصف الأسبوع الثاني لوجودها هنا، وكانت مشغولة بإطعام الأطفال، عندما دخلت المديرة إلى الحضانة برفقة شاب، متوسط الطول. شعره جميل ووجهه مبتسم ويرتدي بنطالاً وسترة وقميص ياقتة مفتوحة.

قدمته المديرة إلى ميغان: «دكتور تيموس إنه يقوم بزيارتنا بانتظام وفي حالات الطوارىء.» ابتسمت بوجه ميغان: «هذه ميغان التي أتت من انكلترا الفترة قصيرة، لتحل

مكان مِين التي ذهبت إلى كندا.» أومأت برأسها للاثنين. «الآن سوف اترككما لتقوما بجولة في الحضانة. ميغان، لا تخافي فهو يتكلم اللغة الانكليزية.»

«هل وجدت أية فرصة لتعلم اللغة الهولندية؟» سأل الدكتور تيموس.

ضحكت ميغان. «تقريباً لا. هل يتكلم الجميع الانكليزية في هولندة؟»

«لا. لا. ليس الجميع. لكن معظمنا يتكلم اللغة الانكليزية. فنحن نجد متعة كبيرة عندما تتاح لنا فرصة للتحدث بها.» ابتسم. «الآن من أين سنبدأ؟ هل لديك أية مشكلة؟»

«حسناً. لا. لا أظن ذلك. يانتي ليس طفلاً سعيداً ربما لأنه تُرك في كيس ورق. إنه يأكل جيداً، ويجب أن يُدلل، ووزنه يزداد باستمرار.»

حملت الطفل بين يديها. بدا الطفل سيء المزاج، لكنه لم يبك عندما حمله الدكتور. «يا للطفل المسكين.» قال الدكتور تيموس: «كيف حال ليسا؟ كانت مريضة جداً عندما أحضرها الأستاذ. لقد التقيته أليس كذلك؟»

أحست بالحرارة في وجهها: «نعم. أنا كنت أعمل في الريجنت في لندن، فهو الذي وجد هذا العمل لي.»

«إنه رجل طيب... قاسٍ قليلاً لكنه ذكي.» أرجع يانتي. ثم قاما بجولة. عندما انتهيا قال لها: «عندي تمرين في كاستريكوم، ربما عندما تجدين نفسك حرة نستطيع أن نقوم بجولة في أنحاء القرية.»

«شكراً. أحب ذلك.»

«حسناً. لنجعل هذا اليوم قريباً.» أومأ برأسه مودعاً ثم

غادر الحضانة. عادت ميغان لاطعام الأطفال والعناية بهم. نسيت الدكتور كلياً، لكنها لم تستطع أن تبعد تفكيرها عن الأستاذ. قاسٍ أم لا. لا تريد رجلاً آخر غيره في هذا العالم.

الفصل الثامن

ذهبت ميغان في يوم عطلتها في الأسبوع التالي إلى أَلْك مَار وركبت دراجتها إلى كستريكوم ثم استقلت الحافلة. كان أَلْك مَار مكاناً يستحق الزيارة، هكذا أخبرتها صديقاتها في الميتم، خاصة أن يوم عطلتها كان يوم الجمعة، اليوم الذي تنزل فيه الجبنة الهولندية المشهورة إلى السوق. اجتازت الحافلة القرية، وتوقفت أمام المبنى حيث تباع الجبنة. تمتعت ميغان بوقتها. أمضت الوقت بين الحشود، تراقب الرفوف الخشبية الطويلة التي وضعت عليها الجبنة. وتمتعت بكل لحظة ثم توجهت إلى الطريق الرئيسية، قاصدة مطعماً صغيراً، لتناول فنجان قهوة. وقفت حائرة أمام عدة مقاهٍ، لا تعرف اين تدخل، ثم شعرت بيد تلمس كتفها، إنه الدكتور تيموس. «مكان رائع، أليس كذلك؟» وأضاف: «إذا لم يكن عندك شيء آخر تقومين به؟ تناولي طعام الغداء معي، ليس عندي دوام في المستشفى حتى الخامسة.»

«هذا لطف منك ولكني كنت ذاهبة...»

«لتناول سندويش، وأنا جائع أيضاً.» أخذها من ذراعها وقادها بين الحشود. إلى اوتيل ديناكتيجل وجلسا متقابلين إلى طاولة قرب إحدى النوافذ.

«شراب؟» اقترح عليها عندما ناولها الخادم لائحة الطعام.

«هل تسمحين لي باختيار الطعام؟»

طلب الطعام وأخذ يتكلم بانطلاق. سألها إذا كانت سعيدة في الميتم؟ هل أحبت هولندة؟ هل تريد مشاهدة الريف قبل أن تغادر إلى انكلترا؟.

«أنت هنا لأسابيع قليلة فقط. حسب ما اخبرتني المديرة. هل لديك عمل آخر في انكلترا؟»

هزت رأسها نفياً: «لا. أردت التغيير.»

قدم الغداء ولاحظت كم هو لذيذ. «إني أفكر بقضاء وقت أطول في هولندة. أحب أن أزور امستردام ودالفت وربما لاهاي.»

كانت صحبته مسلية وشعرت بالراحة معه. واقترح عليها أن يرافقها لمشاهدة سانت لورن سكيرك. وافقت بسرور.

«لا بد أنه قد أُغلق الآن. لكن استطيع الحصول على المفتاح من الحارس للقيام بجولة في داخله.»

كانت الكنيسة على قمة تلة. لم يسرعا. كان يوجد الكثير من المباني القديمة الجميلة كي يتوقفا أمامهم برهة للتأمل. وأخيراً وصلا إلى الكنيسة. كان هناك الكثير لمشاهدته، قبر فلوريس الخامس وغيره. كان الوقت قد تجاوز الثالثة عندما خرجا إلى الشارع أخيراً. «فنجان قهوة؟ ثم أعود بك إلى الميتم، إلا إذا فكرت بالبقاء حتى المساء.»

«كنت أفكر بالعودة عند الساعة السادسة، موعد الوجبة الثانية.» أجابته.

«رائع. لنجد مقهى، يوجد مكان جميل بالقرب من هنا.» تناولا الشاي. أخبرها الدكتور تيموس عن خطيبته

ايموجين، التي هي في سنتها الأخيرة في كلية الطب.

«سوف نتزوج السنة المقبلة. وكستريكوم تزدهر سنة بعد سنة. يوجد عمل لنا الاثنين هنا.»

قالت ميغان: «شيء جميل، أخبرني هل هي سمراء أم شقراء؟»

عندما وصلا إلى الميتم كانت ميغان قد عرفت كل شيء عن ايموجين. «وأنت، يا ميغان. هل لديك مشاريع للزواج؟» سألها الدكتور تيموس.

أجابته بالنفي. شكرته لرفقته وودعته بلطف.

وصفت لصديقاتها، فيما هن يتناولن الطعام رحلتها: «شيء جميل أن التقي بالدكتور تيموس. من دونه ما استطعت رؤية الكنيسة.»

انتهت وجبة الطعام وتلقت ميغان اقتراحات كثيرة للأماكن التي يجدر بها أن تزورها. «هناك الكثير لرؤيته. ليس لديك سوى بضعة أسابيع.» قالت انكي.

أصبح الطقس دافئاً. لم تكن ميغان سعيدة قط مثل الآن، وكانت مشغولة جداً لتتذكر تعاستها. إنها محاطة بالصديقات وتشعر بالراحة معهن. أحبت المشي على الشاطىء مع الفتيات، تستمع إلى احاديثهن وتتعلم الهولندية، وتضحك على اخطائها. لم تستطع أبعاد تفكيرها عن الأستاذ، لكنها اقنعت نفسها بأن الحياة لا بد أن تستمر. أسابيع قليلة وتعود إلى انكلترا وتبدأ من جديد. أخذت تخطط للاماكن التي ستزورها، قبل أن تغادر هولندة. لقد قرر اوسكار وميلاني الاستقرار في كينت، أو سوسكس. تقدم اوسكار بطلب وظيفة في احد المستشفيات في لندن.

رفضت ميلاني العيش هناك، لذلك اضطرا إلى شراء بيت صغير، على مسافة قريبة، يستطيع أوسكار أن يعود إليه في أوقات فراغه. إنه أفضل، فكرت ميغان، على المرء أن يبتعد عن لندن لفترة. إنه أمر رائع أن تبقى هنا، تعمل في الميتم، حيث لا يوجد مجال لتتذكر تعاستها الماضية، وحيث تستطيع أيضا أن ترى الأستاذ، لكن هذا أمر مستحيل.

كانت ميغان تقف بعد يومين قرب الدكتور تيموس وكانت تحتضن يانتي بين يديها، بينما حمل الدكتور تيموس صورة بين يديه. مالت ميغان برأسها لرؤية الصورة. كانت صورة إيموجين.

دخل الأستاذ إلى الحضانة بهدوء، وقف قليلاً عند الباب، وأخذ يراقب ميغان وهي تقف قرب الدكتور تيموس. رأى الضحكة على وجهها وهي تنظر إلى الدكتور تيموس. ثم تنظر إلى الصورة. وقف هناك عند الباب لدقائق يراقب. كان وجهه خالياً من أي تعابير ثم مشى باتجاههما. كان الدكتور تيموس، أول من رآه، ونظر باتجاهه ثم توجه للقائه. مد يده ليصافح الأستاذ. وأخذا يتحادثان بالهولندية. تكلم بهدوء لكن عينيه كانتا مركزتان على ميغان التي كانت تمسك يانتي بقوة. شعرت بالحرارة في وجهها. سمعت خفقات قلبها القوية. خافت أن توقع يانتي وارادت أن تقول شيئاً، لكنها أحست بالاختناق، فلم تخرج الكلمات من فمها.

انضم الاثنان إليها. كان الأستاذ أول من وجه الكلام لها: «صباح الخير، يا ميغان، هل تستمتعين بعملك هنا؟»

«كثيراً يا سيدي.» كانت وجنتاها موردتين، وشعرت

بالغثيان. نظرت إلى وجهه الهادىء الوسيم، كان خالياً من أي انفعال لرؤيتها، شعرت بالحرارة ترتفع في داخلها لدى رؤيته على هذه الحال.

ما الذي حصل ليتحول من شخص لطيف كما عرفته في لندن، إلى شخص بارد كأنه غريب عنها؟ تساءلت ميغان. تمنت لو أنه لم يأت الآن وينظر إليها بارتياب، كما ينظر إلى الممرضات في لندن. لكنها لم تخف منه، على الرغم من أن جميع الممرضات شعرن بالخوف منه حينها. أخبرته هي بهذا. وقفت في مكانها بهدوء تهز يانتي بين يديها، حتى قال الأستاذ: «لا أريد إعاقتك عن عملك، لكن أريد أن اتكلم قليلاً مع الدكتور تيموس.»

وضعت يانتي في عربته، وقادتها باتجاه الشرفة، ثم تناولت ليسا وغيرت لها حفاضها واطعمتها. وعندما عادت إلى الغرفة وجدت ان الرجلين خرجا.

لا تستطيع أن تغادر غرفة الحضانة كي تعرف فيما إذا الأستاذ غادر الميتم أم لا. «من الأفضل لو فعل...» خاطبت ليسا وهي تقودها إلى الشرفة إلى جانب باقي الأطفال. عندما أخذت فترة راحة لتتناول وجبتها، نظرت من النافذة. ورأت أن سيارة الرولز رويس ما زالت متوقفة أمام الميتم. قد تراه إذا اسرعت في طريقها إلى غرفة الطعام. كادت أن تتحرك من مكانها حين شاهدت الأستاذ يغادر برفقة الدكتور تيموس والمديرة. دفعت بنفسها إلى الأمام لتتمكن من رؤيته جيداً. لكنها سحبت نفسها بسرعة، عندما رفع الأستاذ رأسه لينظر إليها. التقت نظراتهما للحظة لكنه لم يبتسم. كمن ينظر إلى الحائط. أحست بالدموع تتجمع في

عينيها. لماذا، أه. لماذا تقع في غرام شخص لا يهتم بأحد؟ توجهت إلى غرفة الطعام. «أتمنى أن لا اراه مرة ثانية.» تمتمت ميغان وهي تعرف أنها لا تعني هذا حقاً.

توجه الأستاذ بسيارته إلى بيته، راقبه ليتمان وهو يدخل البيت. تناول طعام غدائه، ثم صفر للكلبين، وأخذهما في نزهة طويلة. أخذ يفكر بميغان. كانت جميلة هذا الصباح عندما رأها في غرفة الحضانة، وبدت سعيدة أيضاً، وهي تقف قرب تيموس، صرّ الأستاذ أسنانه عندما تذكر ميغان وهي تقف قريبة جداً من تيموس. إنها شابة وكذلك تيموس، بينما هو يقترب من الأربعين... إنه يحبها، ويشعر في داخله أنها تبادله الشعور نفسه، لكنها لم تدرك ذلك حتى الآن. يجب أن يتركها تكتشف ذلك بنفسها. قد يستغرق ذلك وقتاً لكنه رجل صبور. رجع إلى بيته، وتناول طعام عشائه. لن يقدم على فعل أي شيء ليجذب ميغان إليه. يعرف أنه يستطيع ذلك إذا أراد ويكسب حبها. إنه يعرف جاذبيته ومقدرته على جذب أية امرأة. لكنه لا يريدها بهذه الطريقة.

تذكر العمل الكثير الذي ينتظره في مكتبه. وأبعد تفكيره عن ميغان وانكب على عمله حتى منتصف الليل. لم يكن يعرف أن ميغان في الوقت نفسه مستلقية على فراشها تبكي لمعرفتها أنها لن تراه مرة ثانية.

كانت الرحلة السنوية، الحدث الكبير في كل سنة بالنسبة للميتم. فقد اقترب موعدها. كان الموعد في الحقيقة الأسبوع القادم، وكانت التحضيرات لهذا اليوم قد ابتدأت قبل عدة أيام. وكان جميع الأيتام متحمسين، فقد سُمح

للكبار منهم بأن يساعدوا على التحضير، وكان الطقس رائعاً. وصباح ذلك اليوم، اجتاز عدد من الناس الطريق بين التلال متسلقين الدرجات الخشبية. قام الأطفال بنقل السلال والمناشف والكرات، حممت ميغان الأطفال، وكانت فترة راحتها تبدأ الساعة الثالثة، لكنها لم تود أن تترك ساين بمفردها بين هذه الجموع الهائلة من الأطفال. «سوف آتي قبل فترة الراحة وأحضر معي بعض الأشخاص للمساعدة.» قالت إحدى الفتيات.

وهذا ما حصل، فقد وصل عدد من الأشخاص لم تراهم ميغان من قبل، قبل موعد فترة الراحة. كان الأولاد الأكبر سناً يلعبون على الشاطىء، وباقي الأطفال في عرباتهم.

عندما وصلت ميغان إلى الشاطىء لم تشاهد المديرة.

«سوف تأتي لاحقاً.» أخبرتها ساين التي كانت تصفّ عربات الرضع تحت الظلال.

«أظن أنه من الأفضل أن تبقى أنكي هنا برفقة الرضع ونحن نبقى برفقة الأولاد الأكبر سناً.» أضافت ساين.

اختارت ميغان الطفلين توماس وڤيلما، لتأخذهما إلى الشاطىء، بينما أعتنت ساين بديرك ونيل. علا ضجيج الأطفال، لكنه كان ضجيجاً عذباً، كانت ميغان سعيدة لسعادة الأطفال، جثت على ركبتيها وأخذت تُعلم الطفلين كيف يبنيان القنوات. دفعها الهدوء المفاجيء لأن تنظر إلى الأعلى، ورأت المديرة برفقة عدد من الأشخاص. رجل ملتح، وامرأة أنيقة، ترتدي ثياباً لا تناسب نزهة كهذه. وسار وراءهما رجلان، الدكتور تيموس والأستاذ.

انضم بعض الأطفال الكبار إلى ميغان لمساعدتها في

بناء القنوات، فأصبحت الآن محاطة من جميع النواحي تقريباً، وبالتالي أعطت ظهرها للقادمين.

رآها الأستاذ في الحال. لكنه لم يقترب منها فوراً. بقي إلى جانب الآخرين، إلى أن توقف الجمع قرب ميغان، مما اضطرها إلى الوقوف.

«هذه مساعدتنا الإنكليزية، التي تأخذ مكان ماين الموجودة الآن في كندا مع عائلتها. هي ممرضة متمرسة ونحن محظوظون لعملها معنا. ميغان، هؤلاء أعضاء مجلس إدارة الميتم. أنت تعرفين الأستاذ فلا حاجة لتقديمه لك.»

صافحتهم ميغان، وابتسمت للدكتور تيموس. «كيف حالك أستاذ؟» نظرت إلى ربطة عنقه، وشعرت بارتياح لأن توماس أزعج ليسا برفشه، فخلق نوعاً من الفوضى، مما أتاح لها أن تبعد نظرها قليلاً عن الأستاذ.

تمنت لو يذهب الجميع بعيداً. ابتعدت المديرة عنها برفقة الآخرين، ما عدا الأستاذ الذي أمسك توماس وحمله. «النزهة الحقيقية على وشك البداية، أحضري ڤيلما قبل أن يأتي الآخرين على قالب الحلوى والبوظة.»

لم يكن هناك مجال سوى مرافقته، خاصة أنه بقي ممسكاً بتوماس. لم يمانع الأستاذ بالوجه الرطب الذي أحتك ببدلته ونقنه. «يجب أن تنظف هذا القميص وإلا أُفسد.» قالت ميغان. كانا في منتصف الطريق فتوقف الأستاذ ونظر إليها.

«أنت تتكلمين كزوجة، لكنك تبدين... لكن أنت لا تبدين كواحدة.»

«لا أظن أنني كذلك.» نظرت إلى المرأة المتأنقة التي كانت تجلس في الظل تشرب الشاي. رنت بنظرها إلى الأفق ثم نظرت إليه، وعندما التقت عيناها بعيني الأستاذ قالت: «طبعاً أنا لا أبدو.» وهي تشعر أن شعرها كان متناثراً فوق رأسها، ولم تكن ثيابها نظيفة كما يجب.

«شكراً لأنك حملت توماس. سنتناول الشاي مع ساين وديرك ونيل.»

لم يقم الأستاذ بأية حركة، كأنه لم يسمع ماذا قالت، بخلاف ذلك جلس قرب أنكي، وأعطى الطفل قطعة حلوى، وأخذ سندويشاً قبل أن يبدأ حديثه مع أنكي.

انضمت إليهم ساين، فوجدت ميغان نفسها محاطة بأناس ناجحين، يتمتعون بيوم صيفي جميل، لكن النزهة لن تستمر لوقت طويل، بل لساعة أو ساعتين ثم ينتهي كل شيء ويرجع الأطفال إلى الميتم. نظرت ميغان إلى ساعتها ثم نظرت إلى ساين.

«هل نأخذ الأطفال أولاً ثم تعود إحدانا لتأخذ الأولاد؟» وقفوا جميعاً ووقف الأستاذ أيضاً عندما اتجهت نحوه المرأة الأنيقة.

«جاك...» قالت المرأة. حاولت ميغان الإستماع لكن لا تزال اللغة الهولندية غريبة عليها. وقف يستمع مبتسماً ثم أومأ برأسه. دفعت بالعربة أمامها وكان يانتي في داخلها. مشت وراءها ساين وهي تحمل ليسا. وعلى غير توقع حمل الأستاذ الطفل الثالث بول، النائم. وصلوا إلى الحضانة، فشكرت ميغان الأستاذ وودعته، لكن لم يكن الأستاذ على عجلة من أمره.

سألها بلطف: «هل أنت متحمسة للتخلص مني يا ميغان؟» ميغان لم تجب.

«أنت تشغلين أوقات فراغك بكثرة. وعقدت صداقات كثيرة. هل زرت أماكن مثيرة في هولندة؟»

كانت تحمل يانتي عندما أجابته: «نعم وشكراً. لقد أصبح لدي أصدقاء. الجميع هنا لطفاء... لقد ذهبت إلى كستريكوم وألقْ مَار. التقيت الدكتور تيموس هناك، ورافقني إلى الكنيسة...»

«رجل طيب.» قال الأستاذ.

غادر ثم عاد برفقة أنكي وكان يرافقهما الدكتور تيموس حاملاً معه قيلما.

«نزهة رائعة يا ميغان، هل تمتعتِ بها؟ هل هناك أطفال بحاجة للمعاينة قبل أن أذهب إلى البيت.» سألها الدكتور.

«لا، الجميع بخير. كان يوماً جميلاً تمتع به الأطفال.»

«للأسف لن تكوني هنا في عيد الميلاد. ففي هذا اليوم نحتفل جميعاً، أليس كذلك. أستاذ؟»

وافق الأستاذ وقال: «يجب أن أذهب. لقد وعدت جيفرو تيرمابل بمرافقتها إلى لايدن.»

«سيدة رائعة. هل ستعود إلى إنكلترا قريباً، أستاذ؟»

«لا، ليس الآن. اتصلي بي لإعلامي بالتجهيزات التي تحتاجينها. لدينا اجتماع الأسبوع القادم.»

غادر الرجلان الحضانة، يراقبان الأطفال المترددين في العودة إلى داخل الميتم.

قال الدكتور تيموس: «سأتلقى في السنة القادمة مساعدة من زوجتي ستكون مساعدتها عظيمة مع الأطفال...»

نظر إليه الأستاذ. «هل ستتزوج؟ لم أعرف هل هي خطوبة جديدة؟ هل سيكون زواجك قريباً؟»

لم يلاحظ الدكتور تيموس النظرة القاسية في عيني الأستاذ. «السنة القادمة... ستعتاد العيش هنا، لكنني أكيد أنها ستستقر هنا. لم أفكر انها ستقبل بي عند لقائنا لأول مرة.» أجاب الدكتور.

كان الأستاذ يقف قرب النافذة، يداه في جيبيه ويراقب الأطفال. «أهنئك أنت وعروسك، وأتمنى لكما السعادة.»

«شكراً أستاذ. ايموجين ستأتي إلى هنا لقضاء أسبوع، أرجو أن يحصل هذا قبل أن تعود إلى إنكلترا.»

«ايموجين؟»

«اسم ساحر، أليس كذلك؟ إنها فتاة ذكية. ستُنهي دراستها بعد ثلاثة أشهر.»

«يسرني لقاؤها.» أثارت النبرة الغريبة في صوت الأستاذ، دهشة الدكتور، نظر تيموس إليه، لكن كان الأستاذ لا يزال هادئاً وخالياً من التعابير كالسابق.

«حسناً، سوف أذهب لملاقاة جيفرو تيرمابل. تصبح على خير يا تيموس. كانت النزهة ناجحة كالعادة.»

نزل السلالم، وتوجه ناحية جيفرو تيرمابل التي كانت تتجه بدورها ناحيته. كانت ميغان تحمل ليسا بين ذراعيها، فوقفت قرب النافذة تراقب الأستاذ والمرأة التي ترافقه.

وأخيراً، جاءت فترة الراحة. وتبادلت الفتيات فيما بينهن التعليقات على اليوم الممتع.

«هل يأتي المسؤولون دائماً؟» أرادت أن تعرف.

«طبعاً، لكنهم لا يفعلون شيئاً. فقط الأستاذ يساعدنا، إنه رجل لطيف، فهو يدفع معظم تكاليف النزهة أيضاً.»

«المرأة التي جاءت معهم جميلة جداً.» أعارت ميغان انتباهاً أكثر للحديث علها تسمع المزيد عنها.

«جيفرو تيرمابل؟» قالت ساين: «إنها امرأة جميلة وثرية أيضاً. إنها تأمل أن يتزوجها الأستاذ، لكن يبدو أن الأستاذ لا يهتم بها.»

شعرت ميغان بالراحة لدى سماعها هذه الكلمات. لكن لم يمنعها هذا من البكاء عندما اندست في سريرها.

قامت في فترة استراحتها في اليوم التالي، بزيارة لايدن التي كانت مكاناً يستحق تلك الزيارة، فقد أخبرها أحدهم، أن مبانيها تعود إلى سنين ماضية بعيدة جداً. واحتوت على متاحف وجامعة والكنيسة الهائلة سانت بيتر سكيرت، ومتاجر كثيرة تستطيع أن تشتري منها هدايا لدى عودتها للوطن.

لكنها كانت تدرك أن السبب الحقيقي لزيارتها للايدن هو علمها بأن الأستاذ سيلقي اليوم محاضرة في جامعتها، وكانت تأمل أن تلتقي به وتتعرف على المكان الذي يعمل فيه.

قررت أن تتناول وجبة قبل أن تزور الجامعة.

أخذت الجهة الموازية للقناة في طريقها إلى الجامعة، نظرت إلى المياه بذهن شارد. سارت قرب متحف فان أودهيدن، وفكرت أن الأستاذ لن يراها في حال وجوده على الضفة الأخرى من النهر، لكن لا أثر لأحد في الجهة الأخرى. أرادت أن تتذكر كل لحظة أمضتها برفقة الأستاذ.

عادت أدراجها، لكنها لم تجرؤ على العبور إلى الضفة الأخرى لأنها لم تكن تعرف أن الأستاذ يراقبها من إحدى النوافذ، باهتمام وسعادة. أخذ يصفر وهو يعبر المبنى ليلتحق بتلاميذه، من غير أن يتجرأ للإنضمام إليها.

ألقت ميغان نظرتها الأخيرة على القناة والمباني التاريخية الرائعة واشترت عدة هدايا لعائلتها، كما ابتاعت كتاباً. كانت سعيدة بمشترياتها. دخلت مطعماً كبيراً في كستريكوم ووجدت أن الطعام لذيذاً وشهياً، ربما لن تتاح لها فرصة أخرى لتذوق مثل هذا الطعام، فموعد رحيلها قد اقترب. إنها لا تعرف بالضبط متى لكنه أصبح قريباً جداً. لذلك، قررت أن تزور القرى الصغيرة قدر ما يسمح به وقتها. تمكنت من اللحاق بالقطار بسهولة، تنقلت من منطقة إلى أخرى.

كان الوقت متأخراً عندما عادت إلى كستريكوم. جلست تنتظر الحافلة لتعود إلى الميتم.

بعد عدة أيام وبينما كانت تحمم يانتي، دخلت المشرفة على الحضانة، فألقت عليها التحية. انتظرت حتى لفّت ميغان الصغير بمنشفة دافئة ووضعته في حضنها.

«لا تتوقفي عن عملك يا ميغان، جئت لأخبرك أنك ستغادرين بعد أسبوعين من اليوم. لا أعرف بالضبط، إنني أعرف أنك تريدين أن تعرفي، لكن سنحددهُ لاحقاً. جئت لأخبرك كي تطلعي أهلك وتقومي بإعداد ما يلزم لتأمين عمل عند عودتك.»

«شكراً، حضرة المشرفة.» قالت بهدوء: «هذا يعطيني وقتاً كافياً لأضع خططي. سأشعر بالحزن والأسف عندما

أغادر هذا المكان.» لعبت بشعر يانتي ثم قبلته من عنقه. «سأفتقد الأطفال.»

«جميعنا سنفتقدك، يا ميغان. لو كان لدينا مكان شاغر لطلبت منك البقاء.» نظرت المشرفة إلى ميغان.

«هل أنت بخير عزيزتي؟ تبدين شاحبة...»

«آه، كلا. أنا بخير حضرة المشرفة.»

«سأذهب الآن كي تتابعي عملك الصباحي. إذا أردت أن تعرفي شيئاً أو المساعدة في أي شيء، أرجو أن تأتي إلي يا عزيزتي.»

غادرت المشرفة الحضانة. انتهت ميغان من تنظيف جميع الأطفال، وحان موعد أطعامهم.

كانت تعرف منذ البداية أنها ستغادر يوماً، ولكن عندما عرفت أن هذا اليوم قد اقترب، أحست نفسها أنها غير جاهزة للمغادرة. وعند الساعة الثالثة، وهو موعد انصرافها، غيّرت ميغان ثيابها واتجهت إلى الشاطىء. كان الطقس دافئاً: امتد الشاطىء الرملي أمامها على مدى البصر. اتجهت شمالاً ناحية ايجموند على بعد أربعة أميال وكانت تحمل قليلاً من المال في جيبها.

مشت بثبات. كان رأسها مليئاً بالأفكار والخطط. ستعود إلى البيت، ثم تجد عملاً ليس بعيداً عن بيتها، ولتتجنب رؤية أوسكار. صرفت القليل من المال هنا في هولندة، ولديها ما يكفي في المصرف. بقي عليها أن تعرف نوع العمل الذي تريده، قد تساعد في غرفة العمليات لكنها تجد متعة أكثر مع الأطفال وقد تجد عملاً شبيهاً بهذا في إنكلترا...

تابعت السير من دون أن تلاحظ التغير الذي طرأ على الطقس، والسحب تلبّدت في السماء.

هطل المطر فجأة وسمعت الرعد يهدر قوياً. توقفت قليلاً وأخذت تنظر إلى السماء الغاضبة. أسرعت باتجاه التلال تحاول أن تجد مخبأ.

تبللت ثيابها قبل أن تجد ملجأ، وشعرت بالخوف من هدير الرعد، ولمعان البرق. رأت السحب الرمادية تتلبّد فوق البحر وتملأ الأفق فأخذت تسير بين التلال على غير هدى لعلها تعثر قريباً على الطريق ولكنها ضلت طريقها وسط الأمطار الغزيرة، ورداءة الطقس.

وجدت صعوبة في السير على الرمال واختفى البحر وراء التلال. وصلت إلى الممرات وشعرت بالراحة لأنها ستقودها إلى مكان ما. سارت في الممر، تهتدي على ضوء البُرق.

شعرت أن كل خطوة تخطوها، تبعدها عن الميتم فخالجها الخوف وشعرت بالبرد. يجب أن تصل إلى الطريق بأسرع ما يمكن، قالت لنفسها. امتد الممر أمامها وكأن لا نهاية له. أُضيئت السماء وانتظرت الصوت المخيف، عندها رأت شيئاً أبيض عند طرف الممر. إنها حقيبة، سمعت شيئاً يتحرك في داخلها ولم يحول الضوء السيّء بينها وبين رؤية الطفل الملفوف بحرام داخلها.

«آه، يا عزيزي. يا إلهي.» قالت ميغان: «أيها المسكين.» وهدهدت بيدها المبتلة الرضيع الحي.

«شكراً للسماء.»

بكت ميغان وتمتمت: «يجب الآن أن نجد الطريق بسرعة...»

انزلقت ميغان على الممر بسبب اسراعها وبفعل حبيبات البَرَد التي كانت تتساقط كالرصاص على جسمها. وعلى الرغم من أنها أحاطت الحقيبة بجسمها إلا أن البَرَد أصاب الطفل أيضاً.

«كل ما أحتاجه الآن.» صرخت ميغان: «هو! معجزة.»

أحس أصدقاؤها بالقلق عند المساء. «أي طريق سلكت؟» سألت أنكي: «هل أحد يعرف؟»

لم يجب أحد.

«أخبرتني يوماً بأنها ستذهب سيراً إلى ايجموند، لكنها لم تقل لي متى بالتحديد. ربما ذهبت. اليوم...» قالت إحدى الفتيات.

أخبرت الفتيات المديرة. رن جرس الهاتف، وكان الأستاذ يريد أن يعرف إذا كان الجميع بخير.

«لا يوجد كهرباء.» أجابت المديرة: «لكن لدينا شُموع وإنني قلقة على ميغان، فقد ذهبت هذا العصر لتتنزه لكنها لم ترجع. ربما وجدت ملجأ مؤقتاً، وتقول الفتيات إنها أرادت أن تأخذ الممر عبر التلال إلى إيجموند، هل أُخبر الشرطة؟»

جاء صوت الأستاذ هادئاً: «لا، ليس بعد، أنا موجود في البيت. سآتي حالاً.»

وهذا ما فعله، أسرع بالحضور إلى مكتب المديرة، حيث كانت توجد خريطة كبيرة، وضعت أمامهما.

«هل انتهت نوبتها عند الثالثة؟ هذا يعني أنها غادرت عند الساعة الثالثة والنصف بعد تغيير ثيابها. وكانت العاصفة قد ابتدأت عند الرابعة والنصف. هذا يعني أنها قطعت حوالي

ثلاثة أميال. لا بد أنها ستبحث عن ملجأ. هذا يعني أنها قد تكون هنا، متجهة إلى الطريق الساحلي.»

أشار بيده إلى مكان ما على الخريطة: «أظن أنه من الأفضل أن آخذ السيارة إلى الطريق العام، إلى التلال. قد التقى بها.»

«هل تريد أن يرافقك أحد؟»

«لا أظن. الطقس رديء في الخارج. لا حاجة للمجازفة بخروج أحد من الميتم. أريد غطاء...»

غادر وانطلق بالسيارة بسرعة عبر الطريق الضيقة خلف التلال، واتجه إلى المكان الذي حدده على الخريطة. أخذ مصباحه وخرج من السيارة. توقف تساقط البَرَد، لكن المطر كان ما يزال يتساقط بغزارة. اتجه نحو التلال. لم يكن هناك ريح قوية، المطر فقط، وعندما وصل التلال وجدَ ممراً أمامه، كان يتوقف في كل دقيقة وينادي بصوت عالٍ. بالنسبة لشخص هادئ مثله، لا يتصور أحد أنه يتمتع بهذا الصوت المرتفع. لكنه لم يتلق أية إجابة، استعمل مصباحه لإضاءة الطريق أمامه، وبعد فترة سمع صوتاً يرد على ندائه.

توقف عند ملتقى ممرين، فرأى شخصاً يمشي بخطى متعثرة باتجاهه، انها ميغان. ركض الأستاذ نحوها بسرعة هائلة، ولم تشعر إلا وذراعاه حولها. سمعته يقول كلمات لم تفهم معانيها، إلا أنها أخذت تبكي ونظرت إلى وجهه الهادئ.

«جاك، آه، جاك، يوجد طفل داخل الحقيبة.»

الفصل التاسع

لم تبدو على الأستاذ الدهشة عندما سمع ما قالته ميغان. أخذ منها الحقيبة وسلط ضوء مصباحه على وجه الرضيع النائم في داخلها. لم يوجه لها أي أسئلة ولكنه طبع على وجنتها قبلة رقيقة وتابط الحقيبة تحت ذراعه، وحثها بلطف للعودة عبر الممر الذي أتى منه.

كانت مرهقة ومبللة وخائفة ولكنها شعرت أنها بطريقة ما، توقفت عن القلق. لم تكن واعية تماماً عندما قادها الأستاذ إلى السيارة ووضعها على المقعد الأمامي ولفها بالغطاء ثم وضع الرضيع على حضنها وانطلق في رحلة العودة القصيرة إلى الميتم. وعت على نفسها وعندما وصلت ولاحظت الأستاذ يعطي التعليمات بشأنها بصوت هادئ قبل أن يسرعوا بها إلى غرفة الحمام. نزعت عنها ثيابها المبللة ووقفت تحت دوش من الماء الساخن حتى توردت ثم وضعت على السرير. فعلت أنكي كل ذلك وانضمت إليها ساين وهي تحمل كوباً من الحليب الساخن، كلتاهما تكلمتا معها بلطف كي يهدأ من روعها.

«أوه، هل المديرة غاضبة مني جداً؟» سألت ساين التي أجابت: «إنها سعيدة بسلامتك. لقد أحدثت هذه العاصفة الرهيبة الكثير من الأضرار والإصابات، وأخذت بعين الاعتبار، كونك أنقذت حياة رضيع.»

«هل الرضيع صبي أم بنت؟ أنا... أنا لم أستطع الرؤية بوضوح.»

«إنها بنت - ولدت لتوها. الأستاذ ودكتور تيموس يقومان بفحصها الآن.»

«احتست ميغان الحليب فيما وصلت المديرة لتقابلها.»

«لقد كانت تجربة مريعة لك يا ميغان.» قالت بلطف. «ومن حسن الحظ أن الأستاذ عثر عليك. ونأمل أن لا يكون قد أصابك أي مكروه.»

«أشعر أني على ما يرام، شكراً لك.» قالت ميغان بأدب وسألت: «هل الرضيع بخير؟»

«إنها رحمة من الله، أن تعثري عليها وتحافظي على سلامتها. سوف تحتاج إلى رعاية... إن عمرها، حسب ما قاله الأستاذ، لا يتجاوز يوم أو اثنين... ولكن الرضع أقوياء بما فيه الكفاية. سنطلق عليها اسم ميغان تيمناً بك وعندما تكبر سوف نخبرها بأنها تدين بحياتها لك.» توقفت عن الكلام عندما سمعت قرعاً على الباب ثم دخل الأستاذ. وقف إلى جانب المديرة وحملق في ميغان، التي كانت فعلاً جديرة بهكذا نظرة، فقد اعتلى وجنتيها لوناً ورديا وانساب شعرها النظيف الجاف على كتفيها وروب النوم الزهري اللون مما جعلها تبدو ساحرة وفاتنة. سعلت المديرة قليلاً وأشاح الأستاذ نظره نحو الحائط المغطى بورق الجدران. نظرت ميغان، التي لم تدرك مدى تأثيرها عليه، إلى المديرة مستفهمة.

«يرغب الأستاذ ڤان بلفيلد التأكد من أنك لم تصبي بأي مكروه، يا ميغان، هل تشعرين بتحسن؟»

أكدت ميغان لها، وللمرة الثانية، أنها على ما يرام.

أخفض الأستاذ نظره عن الحائط. «أنت فتاة قوية وبصحة جيدة، ولا أظن أن مكروهاً قد أصابك ولكن إذا شعرت بحرقة في حنجرتك أو بالإعياء، اعلمي المديرة فوراً.» ابتسم بلطف وأضاف: «يجب أن نعيدك إلى انكلترا وأنت على أتم صحة.»

وافقت ميغان بتردد، ثم أظهرت الحماس لقرب عودتها إلى وطنها، وقالت والاشراقة تعلو وجهها: «أوه، نعم، أنا أنتظر ذلك الوقت على أحر من الجمر. لقد أحببت هذا المكان ولكن الوقت قد حان كي أعود للعمل في مستشفى... سأفتقد الأطفال وبقية العاملات هنا، لقد كانوا نعم الصديقات...»

توقفت عن الكلام وقد أدركت أنها تثرثر، وأن الأستاذ ينظر إليها بطرف عينه وقد لاحت على شفته ابتسامة تهكم.

ثم استدار مبتعداً وهو يقول: «أنا سعيد لأنك لم تصبي بأذى. وعلى الرغم من الظروف المحيطة بالرضيعة فهي على ما يرام. سوف آخذها معي إلى لايدن وأضعها في غرفة العناية الفائقة لفترة من الوقت وعندما تقوى وتتعافى سأعيدها إلى هنا.» أمسك بالباب ليفسح الطريق للمديرة كي تخرج قبله وقال: «ليلة سعيدة، يا ميغان.»

«ليلة سعيدة يا سيدي، ليلة سعيدة يا سيدتي.» وحالما خرجا، رمت ميغان بوسادة نحو الباب المغلق لتنفس عن غضبها وبكت بحرقة. شعرت بتحسن عندما أحضرت ساين لها طعام العشاء على طبق... على غير المعهود... وجلست على السرير، شاحبة اللون، ولم يبدُ أي أثر للدموع على وجهها النظيف. استلقت، فيما بعد، على السرير وفكرت

بالأستاذ، لن يكون في قدرتها أبداً أن تفهمه، عندما عثر عليها في التلال، ضمها إليه وتمتم بكلمات، بدا أنها كلمات حب على الرغم من أنها لم تفهمها، وقد لمحت ذلك على وجهه... أما فيما بعد، عندما أتى لرؤيتها مع المديرة، لم يبدُ على ملامحه غير تعابير باردة، وكأنه لم يكن معها تلك اللحظات المريعة، عرضة للعاصفة. أخلدت للنوم واستيقظت مبكرة، شعرت بالارتياح لأن دوامها يبدأ في الساعة السابعة.

وجدت في الصباح، أن رسالة قد وصلتها من جدة الأستاذ، وفيها تدعوها لتناول الغداء في أول فرصة تسنح لها، كي تودعها قبل عودتها القريبة إلى انكلترا. كتبت الرسالة بخط جميل واضح، وتطلب فيها الرد بأسرع ما يمكن، وتضيف أنها سترسل لها سيارة كي تقلها.

ما زالت ميغان لا تعرف تماماً متى تغادر، ولكنها أرسلت فوراً الرد على رسالة الجدة، تقول فيها أن عطلتها تقع بعد يومين ويسعدها جداً أن تقابل السيدة ماڤرو ڤان بلفيلد.

عادت للميتم وتيرته الهادئة وتحسن الطقس بعد العاصفة الهوجاء وارتفعت درجة الحرارة قليلاً عندما اشرقت الشمس. تحلق الأطفال، مضجّين، حول الدكتور تيموس، الذي علق على قرب مغادرة ميغان بأنه يأسف لأنها ستفوت على نفسها التمتع بالصيف الرائع الذي يلوح في الأفق.

قال لها: «إن الطفلة ميغان تعافت، وقد أخرجت من غرفة العناية الفائقة وازداد وزنها. يحاول البوليس العثور على أمها ولكن الأمل ضعيف. سنأتي بها إلى هنا إذا لم يطالب

أحداً بها في الأسابيع المقبلة... لا شك أن العاصفة كانت مخيفة فعلاً. ومن حسن الحظ أن الأستاذ اتصل بالمديرة في ذلك الوقت. لقد خمن مكانك وعثر عليك في الحال، أليس كذلك؟ الأستاذ يبقى متمالكاً أعصابه في أحلك الظروف. لقد سمعت أنه سيعود إلى انكلترا قريباً. هل عندك فكرة متى ستغادرين؟»

«أبداً، فهذا متعلق بعودة ماين من كندا. ولا يهمني ذلك لأني سأبقى في منزلي لفترة من الوقت.»

التقط التقرير الصحي وتفحصه: «على أي حال، هل سترسلين بطاقة بريدية؟ سوف نفتقدك.»

«سوف أفتقد الجميع هنا، لقد كنت سعيدة جداً...»

«لم تكوني سعيدة عندما أتيت، هل هذا صحيح؟»

ابتسمت له وقالت: «كلا، لا شيء يشفي من التوتر النفسي مثل مجموعة من الأطفال.»

ارتدت ملابسها بعناية استعداداً لزيارة البارونة ڤان بلفيلد، فستان زهري اللون موشح بالأزرق، قصير الكمين وذو ثنايا في الأسفل. ستقلها السيارة في الحادية عشرة والنصف ولم يبقى لديها غير دقيقتين، نزلت إلى القاعة وأخبرت أنيت أنها ذاهبة لزيارة الجدة ماڤرو.

قالت أنيت بحدة: «لا تقولي ماڤرو، يجب أن تناديها، البارونة.»

«أوه، هل يجب أن أفعل؟ آمل أن لا أكون أظهرت قلة تهذيب...»

«لا، لا، وعلى ما أظن، أنها ستسعد برؤيتك. خاصة، لأن الأستاذ ڤان بلفيلد عاد إلى انكلترا، وهي تشعر بالوحدة.»

«ذهب إلى انكلترا؟ أوه... نعم، بالتأكيد.» علقت ميغان بسرعة.

أقرت ميغان في سرها، فيما كانت تخرج من باب الميتم، إنها كانت تأمل برؤية الأستاذ، أو ربما يكون هو من سينقلها بالسيارة. شاهدت السيارة ولم تكن سيارته. كانت السيارة من ماركة دايملر القديمة ويقودها شاب.

فتح لها الباب وقال: «صباح الخير، أنا ديريك، ابن ليتمان.»

جلست ميغان إلى جانبه وقالت: «أنت تتكلم الانجليزية، هذا رائع. أنا لا أتكلم من الهولندية غير بضع كلمات.»

«إنه أمر صعب.» كان شاباً ودوداً وتبادلا الحديث في مختلف المواضيع، مستعملان مزيجاً من اللغتين. رغبت ميغان في سؤاله عن الأستاذ ولكنها امتنعت، ربما جدّته تخبرها فيما إذا كانت رحلته قصيرة أم طويلة. وهي ستغادر قريباً على أي حال، ربما خلال أسبوع، وهذا يتعلق باستلام رسالة من ماين تعلمهم فيها عن موعد وصولها بالتحديد. حاولت جهدها كي تتوقف عن التفكير به. شكرت ديريك عندما وصلا إلى البيت ثم قادها ليتمان الوقور إلى غرفة الجلوس الصغيرة، حيث تنتظرها البارونة.

رحبت السيدة المسنّة بها بحرارة: «كم تبدين جميلة، يا صغيرتي، لقد أخبرني جايك أنك في الثامنة والعشرين من عمرك ولكنك تبدين أصغر من ذلك بعشرة أعوام. أنت تبدين أفضل مما كنت، عندما استلمت العمل في الميتم. إن هواء البحر المنعش والطعام الجيد يصنعان المعجزات.»

جلست ميغان قربها وأضافت: «لا تنسي فضل الأطفال أيضاً، لقد تمتعت بكل لحظة معهم.»

تناولتا القهوة وقطع البسكويت، وتحدثتا في الثياب والأثاث القديم، واللوحات المعلقة على الجدران، لكن لم تأتيا على ذكر الأستاذ بكلمة واحدة، كان ذلك مزعجاً كثيراً، وانحنت ميغان تداعب القطة الشقراء الملتفة على نفسها فوق سجادة الكاشان الحريرية، وسألت: «هل تنسجم مع الكلبين تماماً؟»

«نعم، طبعاً. فهي تفتقدهما عندما يجولان في الخارج برفقة ابن الجنائني، وهما يشتاقان بدورهما لجاك. إنني أفتقده أيضاً كما أنني سأفتقد كل شيء هنا. عندما أعود إلى دن هاغ.»

«آه، كنت أعتقد أنك تعيشين هنا...»

هزت السيدة العجوز رأسها.

«عندي مكان خاص في بيت ابني وزوجته، والدي جاك، إنهما في نيوزلندا يقومان بزيارة حفيدتي المتزوجة من طبيب جراح يقيم في ويلنغتون، سيعودان قريباً وسأعود للإقامة معهما.» وراحت تحدق في وجه ميغان المتسائل. «هل أنت تتعجبين من عدم إقامتهما في هذا البيت الكبير؟ لديهما بيت ارستقراطي في دن هاغ، امتلكته العائلة منذ فترة طويلة، مثل هذا البيت تماماً، إن جاك هو الإبن الأكبر، وقد جرت العادة، على أن يمنح البيت للأبن الأكبر عندما يصبح في الحادية والعشرين من عمره، يقيم هنا ويتزوج وينشىء عائلة وعندما يحين الوقت ينتقل ذلك إلى ولده، وهكذا دواليك حتى ينتقل بدوره إلى دن هاغ.»

حسناً، فكرت ميغان، لقد عرفت الأستاذ طوال هذه الشهور دون أن أكتشف عنه أي شيء، وقد اكتشفت الآن قدراً كبيراً من ذلك في جملة واحدة. «كم هو ممتع إذاً، الأستاذ هو الوحيد الذي لم يتزوج..»

نظرت إليها الجدة من فوق نظاراتها وقالت: «لم يتزوج حتى الآن، إن رجال آل ڤان بلفيلد لم يستعجلوا الزواج قط، إلا أنهم عندما يقدمون على الزواج في النهاية فإن ذلك يكون مدى الحياة وربما أبعد من ذلك، كما أنهم يتزوجون للحب وليس لأي سبب آخر. لم يقل جاك لي شيئاً، لكن أشعر بأنك سعيدة وما زلت، ربما أنت مغرمة؟ فهل تودين التحدث بذلك؟ إن ذلك يساعد فعلاً...»

أجابت ميغان: «إنها لقصة صغيرة مملة. أظن أنها لا بد أن تحدث كثيراً. لقد كنت مخطوبة لرجل، كنا منسجمين تماماً معاً وكنت أعتقد أنني كنت مغرمة به وهو مغرم بي. لقد تربينا سوياً، وكنا نتمتع بصحبة بعضنا البعض، لكنني الآن، أعرف أنني لم أحبه، لم أعرف ذلك من قبل، لأنني لم أقع في الحب مطلقاً. إن الحب الحقيقي شيء مختلف، أليس كذلك؟ وهل يعني ـ عندما يكون أحداً واقعاً في الحب ـ أن لا شيء آخر يهم؟ لقد التقى شقيقتي، التي هي فتاة طيبة، فوقعا في حب بعضهما بعضاً على الفور، وكان علي أن أفعل شيئاً حيال ذلك.» ترددت ميغان قليلاً قبل أن تتابع: «وقد ساعدني الأستاذ ڤان بلفيلد، فوجد لي عملاً حتى أستطيع الابتعاد، وعندما وصلت إلى هنا وتمكنت من رؤية الأمور عن بعد، كان في امكاني أن أرى الفرق، لذلك، إنني بخير ثانية.»

«لكن أخبريني لماذا أنت حزينة؟» سألتها البارونة: «فلا بد من وجود شيء ما، شخص آخر؟» كان مغريا أن تضع ثقتها بها، إلا أنها توقفت في الوقت المناسب. كان إنكارها قوياً حتى أنها أوشكت على تصديق نفسها، وبما أن لم يكن لدى السيدة العجوز أدنى فكرة لما يجري، فإن ميغان أطلقت لنفسها العنان، وراحت تسأل بطريقة عرضية تماماً.

«هل رجع الأستاذ إلى انكلترا؟»

«نعم، دون توقع، حصل شيء طارىء استدعى حضوره شخصياً. يريدونه أن يتسلم منصباً في الولايات المتحدة الأميركية. إنه منصب مُغر.»

«آه، لا.» صرخت ميغان ملتاعة، و حاولت أن تجعل ذلك يبدو مغايراً وقالت: «ما أعنيه هو أنه سيُفتقد هنا وفي لندن أيضاً، أليس كذلك؟»

«حقاً. لحسن الحظ، إنه ليس بحاجة لأن يأخذ بعين الاعتبار الربح المالي، إذ لديه مدخول كافٍ. الآن اخبريني عن مشاريعك، يا ميغان.»

أرادت ميغان أن تتحدثا عن الأستاذ أكثر. لكن الجدة انتقلت إلى موضوع آخر.

«حسناً. إن خططي غير واضحة حتى الآن. أنا لست متأكدة متى سأغادر الميتم ولكن أظن قريباً. سأعود إلى البيت لفترة...»

«هل ستعودين إلى مستشفى الريجنت؟»

«كلا، آه، كلا، أود أن أذهب بعيداً، ربما إلى اسكتلندا، فلم أقرر حتى الآن.»

وراحت البارونة تتحدث عن العاصفة، وعن الأضرار

التي خلفتها وراءها. وبعد فترة توجهتا إلى غرفة الطعام، ساعدت ميغان البارونة على السير وهي تمسك بعصاها. تناولتا أولاً حساء الخس البارد، وصدور الدجاج بصلصة الجبن مع سلطة خضراء، وكانت التحلية، قطعة حلوى محشوة بالكرز.

«سنتناول القهوة في غرفة الاستقبال.» قالت البارونة: «وبعدئذ تقومين بنزهة في الحديقة، بينما أخلد بدوري لقيلولة وجيزة.» وعلى هذا النحو وجدت ميغان نفسها تتنزه بين الأزهار، وخلال ذلك اكتشفت طريقها إلى مطبخ الحديقة، حيث كانت مختلف أنواع الحبوب والخضار منسقة في صفوف منتظمة. من ثم، أطلت من باب خشبي في الجدار، فرأت الكلبين يتجهان نحوها برفقة ابن ليتيان.

عندما وصل إليها ديرك سألته ميغان: «هل يملك البارون هذا المكان أيضاً؟»

لوح ديرك بإحدى ذراعيه: «حتى المياه. إنه يملك أراضي كثيرة؟»

تمشيا سوياً إلى البيت. كان الكلبان يركضان تارة إلى الأمام وتارة أخرى إلى الوراء حتى انفصلا. أخذ ديرك الكلبين إلى المطبخ، واتجهت ميغان إلى غرفة الاستقبال، حيث تركت البارونة ترتاح على أحد المقاعد المريحة.

كانت البارونة مستيقظة. فأخذت تحدثها عن تاريخ البيت، اصغت ميغان لكل كلمة قالتها البارونة، أرادت أن تعرف كل شيء يتعلق بالأستاذ.

مضت نصف ساعة قبل أن تعلن ميغان عن موعد رحيلها، فودعتها البارونة قائلة: «أنا متأكدة من أنه سيكون لك

مستقبل سعيد، يا عزيزتي.» قبلتها ميغان على خدها ثم افترقتا.

أوصلها ديرك بالسيارة إلى الميتم.

وفي اليوم التالي، أرسلت المديرة تطلب ميغان. فأخبرتها أن ماين ستعود خلال يومين، وإنها حرة للمغادرة وقت تشاء: «ساكون شاكرة لك إذا بقيت يوماً إضافياً معنا حتى تعود ماين إلى الميتم، ستصل متأخرة بعد غد.»

تناقشتا حول طريق عودتها. فأخبرت ميغان المديرة أنها تفضل العودة عن طريق الناقلة البحرية.

«حسناً، تستطيعين المباشرة بالإجراءات. أخبريني إذا صادفتك أي مشكلة بالحجز. تستطيعين البقاء هنا حتى تجدي مكاناً.»

وجدت ميغان مكاناً، واستفسرت عن موعد القطار، وموعد مغادرة الناقلة، ستطلع والدتها عن موعد وصولها في الصباح. كان رأسها مشغولاً بالأشياء الصغيرة التي يجب أن تقوم بها قبل المغادرة. كان يجب أن تشعر بالسعادة لأنها عائدة إلى الوطن وإلى عائلتها، ولكنها لن ترى الأستاذ مرة ثانية.

جاء يومها الأخير في الميتم، كانت تقف على الشرفة تحمل يانتي بين يديها عندما دخل الأستاذ إلى الحضانة بهدوء ثم اقترب منها.

شعرت ميغان بالسعادة لدى رؤيته وقالت بصوت منخفض: «كنت أظن أنك في انكلترا.»

«نعم. لكنني وصلت هذا الصباح.»

«آه... آه، حسناً. أنا سعيدة برجوعك وسوف أعود إلى بلدي غداً. اعتقدت أنني لن أراك مرة ثانية. كنت ساكتب...»

«عمَّ؟» كان صوته هادئاً.

«لأشكرك، فقد كنت صائباً؟ إذ كنت بحاجة فعلاً للابتعاد، لأنظر للأمور عن بعد. لم يكن لدي أية فكرة... لم أكن أعرف كيف يمكن أن يكون المرء مغرماً، ليس حباً أن نعجب بشخص ونتمتع بصحبته، هذا ليس بالضرورة حباً. إنها حياتك كلها...»

«واكتشفت ميغان ذلك؟» كان صوته لطيفاً.

أجابت: «نعم. لن أراك مرة ثانية، أهذا صحيح؟ سوف أجد عملاً بعيداً عن لندن. أخبرني أحدهم أنك ستبقى هنا أكثر من ذهابك إلى لندن.» أومأ برأسه وتابعت: «ربما لا تريد أن تعرف، لكنني أريدك أن تعرف، اكتشفت أنني لم أحب أوسكار قط لأنني مغرمة بك. لم أكن أعرف ذلك، طبعاً لقد أحببتك، ووثقت بك، لكن عندما أحضرتني إلى هنا، ثم تركتني من دون أن تقول شيئاً، عندها اكتشفت أنه أنت.» وتوقفت قليلاً. «كنت أراقب ظهرك وأنت تغادر، فشعرت... لا أستطيع أن أجد الكلمة المناسبة لوصف ما شعرت به في تلك اللحظة.»

ركزت عينيها على وجهه وقالت بيأس: «هذا كل ما أردت أن أقوله. أرجو ألا تكون...» قاطعها دخول الدكتور تيموس ثم قالت وهي تنظر إلى يانتي: «إنه بحاجة إلى التغيير.» حملته وابتعدت به. انفجر الأستاذ ضاحكاً، وهو يستدير ليحيّي القادم.

عندما رجعت ميغان إلى الحضانة، ولم تجد الأستاذ أو الدكتور تيموس. نزلت إلى الطابق السفلي فلم تجد أثراً

لسيارة الأستاذ. تنفست ميغان الصعداء، واحمر وجهها وهي تتذكر ما قالته للأستاذ. لكنها اكتشفت أنها لم تكن تريد أن تقول ما قالته. والتقت ذلك المساء ماين، وهي فتاة جريئة وجميلة وكان لديها الكثير لتخبره عن كندا.

«جميل أن أعود إلى هنا. هل أنت حزينة لرحيلك يا ميغان؟»

«نعم.» أجابت ميغان: «لقد تمتعت بكل دقيقة هنا، لكن يجب أن أعود وأجد عملاً في انكلترا.»

تقابلتا مرة ثانية في الصباح. عملتا لساعات معاً حتى جاء الوقت لتودع الجميع. تناولت الغداء قبل خروجها. ارتدت تنورتها وسترة رمادية. ربما يكون الطقس ممطراً في انكلترا. ودّعت الجميع ورافقوها إلى الباب.

كانت سيارة الرولزرويس تنتظرها في الخارج، وكان الأستاذ يتكىء عليها. لم يقل شيئاً لها. فتح الباب وساعدها على الجلوس، ثم تناول حقيبتها ووضعها في صندوق السيارة، وعاد وجلس بجانبها.

قالت ميغان بصوت خافت: «هناك سيارة بانتظاري، سوف آخذ القطار الذي يغادر كاستريكوم.» وعندما لاحظت أنه لم يأبه لما قالته، أضافت باقتضاب: «إني ذاهبة إلى انكلترا.»

«كل شيء في وقته المناسب.» لوح للجميع الذين كانوا يقفون في المدخل، وهي بدورها لوحت لهم، وابتسمت، وهي تشعر وكأن أحداً لطمها على رأسها.

«هل أنت ذاهب إلى انكلترا؟» سألته بالحاح عندما انطلق خارجاً إلى الطريق.

«نعم.» أجابها.

«لكن لماذا..؟»

«أصمتي.»

لم تتكلم لعدة دقائق ثم قالت: «لا أعرف ماذا تفعل أو لماذا. لكنني أعرف أن القطار سيفوتني.» وعندما لم يجبها. عادت تسأله: «هل أنت ذاهب مباشرة إلى لاهاي؟»

«كلا.»

انتصبت قامتها تحسباً.

«إذا كان الأمر يتعلق بما قلته البارحة، إذن أرجو أن تنسى ما قلته. أنا.. أنا كنت مستاءة.»

«ألم تعني أي كلمة منها؟» لانت بالصمت وعاد يسألها بنعومة: «أجيبيني، يا ميغان» أدارت له كتفها وهي تنظر من النافذة قربها من دون أن ترى شيئاً. «بالطبع لقد عنيت ما قلت. أين نحن ذاهبان؟» سألته بصوت ضعيف.

«إلى البيت.»

لم يكن يريد أن يخبرها بأي شيء، وجلست تفكر بهدوء في جميع الاحتمالات لتصرفاته الغريبة. ربما لديه عمل آخر لها؟ أو ربما أرادت الجدة أن تراها مرة ثانية. لكن القطار والناقلة سيغادران من دونها. ربما سيعطيها محاضرة عن كيفية ضبط المشاعر.

«لا يحق لك.» بدأت الكلام بصراحة ولكنه أسكتها.

«آه، نعم. لي كل الحق. ها قد وصلنا.»

خرجت من السيارة ووقفت حائرة. لم يكن هناك أثر لليتمان. أخذها الأستاذ بيدها إلى مطبخ الحديقة ثم عبر البوابة الخشبية إلى المرج في الخلف.

«لماذا؟» سألته ميغان بذهول تام.

«لأننا بمفردنا هنا، يا حبيبتي، إذ أنني لا أرغب في التقدم أمام جمهور للزواج منك. كنت قد فقدت الأمل في اكتشاف حبك لي. كنت صبوراً. ألم أكن كذلك؟ كنت أنتظر حتى تتخطي مشكلتك مع أوسكار ثم انتظرت حتى تعرفي أنك تُحبينني. إنني رجل صبور جداً. يا حبي. لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.»

«كنت أود منذ أشهر عديدة أن أحبك. لكن كنت بحاجة إلى الوقت، لكن لن أتركك بعد الآن، فالعمر أمامنا نعيشه سوياً.» دفعها باتجاهه ثم عانقها. كأستاذ كان عناقه لطيفاً، فاستعادت توازنها.

«أريد أن أعرف...»

«نعم، نعم، حبيبتي. أنا أعرف أنك تريدين أن تعرفي كل شيء، لكن أريد أن أسألك أولاً، هل تقبلين الزواج مني؟»

«نعم، آه، نعم. يا جاك. لكن أريد أن أعرف...»

«لا تضيعي الوقت بالأسئلة السخيفة، يا حبي.» لم تسأله، وابتعدت قليلاً عنه.

«لقد فاتني القطار.» أخبرته.

«ستبقين الليلة هنا. والداي سيصلان غداً للتعرف إليك. لقد خابرت والدتك اليوم وأخبرتها بعدم مجيئك اليوم.» قبّل أرنبة أنفها وأضاف: «كم أنت جميلة.»

نظرت ميغان إليه.

«هل تعني أنك أخبرت أمي بانني لن أحضر؟ كيف عرفت ذلك؟ افترض أنني رفضت المجيء معك؟ ماذا كنت ستفعل؟»

فكر الأستاذ دقيقة ثم قال: «كنت لحقت بك إلى المحطة وأرغمتك على المجيء معي.»

«حقاً؟» لمعت عيناها.

«حقاً، يجب أن تعرفي يا فتاتي العزيزة. أنني أحبك.»

«آه. جاك، أريد البقاء معك إلى الأبد.» نظرت إليه من دون أن تخفي نظراتها الحالمة ومشاعرها الجياشة.

«وأنا سأتاكد من أنك ستفعلين، والآن دعينا نذهب إلى البيت.»

تمت

WWW.BEWTY.COM
مـــوريـــة